آية الله العظمى مكارم الشيرازي

قبسات من السيرة العلوية

إعداد و تنظيم

ابوالقاسم عليان نجادي، عبد الرّحيم الحمراني

آية الله العظمى مكارم الشيرازي

قبسات من السيرة العلوية

إعداد و تنظيم
ابو القاسم عليان نجادي، عبد الرّحيم الحمراني

سرشناسه پیش از انتشار: توسط مدرسة الامام علی بن ابی‌طالب عليه‌السلام.

مکارم شیرازی، ناصر، ١٣٠٥ ـ

قبسات من السیرة العلویة / المؤلف مکارم الشیرازی . ـ قم: مدرسة الامام علی بن ابی‌طالب عليه‌السلام، ١٤٢٩ق.= ١٣٨٦.

٢٤٨ص.

ISBN: 978-964-533-055-0

کتابنامه به صورت زیرنویس:

١. علی بن ابی‌طالب(ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ ـ کلمات قصار. ٢. علی بن ابی‌طالب(ع) امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. نهج‌البلاغه ـ ـ نقد و تفسیر. الف. علی بن ابی‌طالب(ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. نهج‌البلاغه. برگزیده. شرح. ب. مدرسة الامام علی بن ابی‌طالب عليه‌السلام. ج. عنوان. د. نهج‌البلاغه. برگزیده. شرح

BP ٣٩ / ٥ / ٨ ک ٧٠٤٣ م ١٣٨٦ | ٢٩٧ / ٩٥١٥

الناشر الأفضل لعام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م

قبسات من السيرة العلوية

المؤلّف: سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي(مدّ ظلّه)

إعداد: عبدالرحيم حمراني

الكميّة: ٢٠٠٠ نسخة

الطبعة: اوّل

تاريخ النّشر: ١٤٢٩ ق

عدد الصّفحات: ٢٤٠ صفحة

حجم الغلاف: كبير

المطبعة: سليمانزاده

النّاشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه‌السلام

ردمك: ٩٧٨-٩٦٤-٥٣٣-٠٥٥-٠

ايران ـ قم ـ شارع شهدا ـ فرع ٢٢

تلفكس: ٧٧٣٢٤٧٨-٢٥١-٩٨++

www.amiralmomeninpub.com

السعر: ٢٠٠٠ تومان

المقدمة

الأخلاق في الحوزات العلمية:

يتمتع نظام الحوزات العلمية التعليمي والتربوي بمزايا وخصائص خاصة تميزه عن جميع الأنظمة الدراسية! ومن هذه الخصائص الدروس الأخلاقية التي تحتل أهميّة في الحوزات العلمية. حيث يسعى الأساتذة الأعزاء ـ وإلى جانب تدريس طلبة العلوم الدينية والطلبة الجامعيين مختلف العلوم ـ إلى تربيتهم الروحية وتنمية فضائلهم الخلقية وإستئصال الخصال الأخلاقية الذميمة ولاسيما تلك التي تنبثق من دراسة وتعلم العلم. وتتخذ الدروس الأخلاقية وحلقات التهذيب في الحوزات العلمية إسلوبين:

أ) الأول: الدروس الأخلاقية المستقلة التي تُلقىٰ عادة في إحدى الليالي أو الأيّام الأخيرة من الأسبوع من قبل أحد العلماء الأعلام والمتخلقين بهذه الأخلاق، حيث يخوض الأستاذ بالاستفادة من خزينه الأخلاقي في شرح الآيات والروايات والقصص الأخلاقية التي تُشبع نهم طلاب العلم والفضيلة.

ب) الثاني الدروس الأخلاقية غير المستقلة التي تلقى في آخر يوم من الدروس الأسبوعية في ختام الدرس ـ والأستاذ في هذه الجلسات يروي عطش الظمأى للمعارف الدينية من منهل كوثر القرآن وآل محمّد صلى الله عليه وآله من خلال بيان الروايات الأخلاقية فتحصنهم لأسبوع على الأقل إزاء الإنحرافات الخلقية.

الكتاب الحاضر:

الكتاب الحاضر حصيلة الدروس الأخلاقية للأستاذ الجليل ومعلم الأخلاق العالم العامل سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي مدظله العالي، وقد دوّنت بهذا الشكل حيث بين سماحته المطالب الأخلاقية المهمّة في ختام الروايات المذكورة بلسان بسيط وبليغ والذي يعد من مميزات سماحته بحيث يستفيد منها عامّة الناس، ليسهم قراءته والعمل به في رفع المستوى الخلقي للقراء الأعزاء إن شاء الله.

خصائص الدروس الأخلاقية لسماحته:

يمتاز الدرس الأخلاقي لسماحته ببعض الخصائص مقارنة بالدروس الأخلاقية في الحوزات العلمية وبنوعها الثاني من قبل العديد من الأساتذة، ومن هنا يتضاعف حضور الطلبة أيام الأربعاء التي يبادر فيها الأستاذ الفاضل إلى الوعظ والإرشاد، ويمكن تلخيص خصائص دروسه الأخلاقية في مايلي:

١ ـ تلقى المباحث الأخلاقية عادة يوم الأربعاء في ختام الدروس، غير أنّ سماحته يلقيها بداية الدرس، ثم يواصل الدرس، ولا يخفى تأثير هذا الأسلوب أكثر من سابقه.

٢ ـ إنّ مدّة الدروس الأخلاقية من النوع الثاني قليلة؛ أي أنّ الأساتذة لا يخوضون في المباحث الأخلاقية في ختام الدرس لأكثر من دقائق، بينما يفرد الأستاذ الجليل نصف وقت الدرس وربّما ثلثيه للوصايا الأخلاقية.

٣ ـ إنّ الأساتذة الأجلاء الذين عرفهم القاصي والداني بالنظام والدقّة حتى عُدّوا قدوة وأسوة في ذلك، يراعون هذا النظام في أبحاثهم الأخلاقية، بينما تحظى عادة أبحاث سماحته الأخلاقية بنظم خاص موضوعي أو ترتيبي. ومن هنا طرح الكلمات القصار للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من تحف العقول لسنة، ثم تابع لسنة أخرى مبحث التقوى من زوايا مختلفة، وجعل قصار كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام في تلك السنة موضوع أبحاثه الأخلاقية.

٤ ـ عادة ما يثير سماحته بعض القضايا السياسية المهمّة أثناء أبحاثه الأخلاقية، حيث يخوض في كل جلسة إن دعت الضرورة وفي الدقائق الأخيرة في بيان وتحليل الأمور

السياسية المهمة للأسبوع.

٥ ـ لا يقتصر سماحته في أبحاثه الأخلاقية على الرسالة الخلقية للآية أو الرواية، بل إنّ كان هنالك سؤال وشبهة أو تناقض ظاهري بين سائر الآيات والروايات خاض في تفاصيله وشرحه بدقّة.

١١٠ كلمة من أمير الكلام:

حيث عقد العزم على جمع هذه المحاضرات في سنة ٢٠٠٠ م والتي سميت بسنة أميرالمؤمنين، فقد جمعنا مائة وعشرة أحاديث إستيحاء من هذه السنة المباركة من روايات أميرالمؤمنين عليه السلام الأخلاقية التي ألقيت في الجلسات الأخلاقية لأستاذنا الجليل سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مد ظلّه) والتي استعرض فيها أبحاثه الرائعة والتعليمية. وأخرج الكتاب بهذه الصيغة بعد التحقيق في مصادره وحذف الجانب المكرر وشرح بعض النقاط المجملة وإضافة الهوامش الضرورية والقيام بسائر الأعمال اللازمة الأخرى. ولا يسعني هنا إلّا أن أتقدم بجزيل الشكر لجميع الإخوة الأعزاء الذين مدوا يد العون في المراحل المختلفة، سائلاً المولى تعالى توفيق الجميع للتحلي بالصفات الأخلاقية السامية واجتناب الرذائل والصفات القبيحة، آمين ياربّ العالمين.

ربّنا تقبل منّا إنّك أنت السميع العليم

قم ـ الحوزة العلمية

أبوالقاسم عليان نجادي

صيف عام ٢٠٠١ م

١

شروع الأعمال كافة باسم الله

قال الإمام علي‌عليه‌السلام: «كل أمر ذي بال لم يذكر فيه اسم الله فهو أبتر».[١]

الشرح والتفسير

هنالك تأثير لذكر الله في جميع أعمال وأقوال الإنسان، وللغفلة عنه نتيجة سلبية. ولذلك ورد الحثّ في هذه الرواية الشريفة على ذكر الله في كل عمل، ومن الواضح أنّ المراد من ذكر الله واستهلال جميع الأعمال بذكره لا يعني الإقتصار على التلفظ بالبسملة، بل الهدف أن يكون لله تعالى حضور في جميع أعمالنا، ومن هنا جاء في هذه الرواية وخلافاً للروايات المشابهة «لم يذكر» بدلا من «لم يبدأ»[٢].

حيث لا تقتصر ضرورة ذكر الله على بداية العمل، بل على استمراريته.

كيف تذكر الله؟

هنالك أنواع لذكر الله واستحضار خالق عالم الوجود، وأفضلها أن يعلم الإنسان بأنّه وجود تابع يعجز عن مواصلة حياته لبرهة دون الإعتماد على الله. وتبعيتنا نحن البشر، بل

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٠٥ و ج ٨٩، ص ٢٤٢.

٢. الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٧٧، ح ٧٢٨٤.

جميع الكائنات في عالم الوجود، لله تعالى، كتبعية شعاع المصابيح لمصدر الطاقة والذي يعتمد عليه ويحتاجه بدايةً واستمراراً. فإن بلغ الإنسان هذه المرحلة من ذكر الله وعدم الغفلة عنه عاش حالة من الطمئنينة القلبية والروحية فلا يفكر بالإعتماد على أحد سوى الله فيستحيل عليه مقارفة الذنب والمعصية؛ ذلك لأنّ هذا الإنسان يرى نفسه دائماً في محضر الله ويدرك أن جميع النعم وبالتالي جميع وجوده منه تعالى، ومن المؤكّد أنّ مثل هذا الإنسان لا يتلوث بالمعصية، فالمعاصي تهجم على الإنسان حين يغفل عن الله[1]. فمن عاش ذكر الله دائماً جانَبَ المعصية.

١. راجع الاخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٣٢٤، المباحث المتعلقة بالغفلة ومنها: عوامل الغفلة، العواقب الوخيمة للغفلة، علامات الغفلة، طرق القضاء على الغفلة، الغفلة الايجابية والسلبية وسائر المباحث.

إختلاف آثار العفو

قال الإمام علي عليه السلام: «العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم».[1]

الشرح والتفسير

يمكن تفسير هذا الحديث الشريف بصيغتين.

الصيغة الأولى: إنّ الإنسان الكريم حين يعفو عن شخص مذنب ويصفح عنه يحظى بحبه؛ لأن عفوه ممزوج بالكرم والتواضع، لكن عفو اللئيم والوضيع مدعاة للإفساد لأنّه مقرون بالمنّ والأذى وهذا في الواقع مصداق من مصاديق: **﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾**[2].

الصيغة الثانية: كان العفو في التفسير الأول من «الكريم» تارة و«اللئيم» تارة أخرى والذي كان أثران مختلفان بالنسبة للمعفو عنه، أمّا في التفسير الثاني فالعفو والصفح تارة بشأن الشخص «الكريم» وأخرى الشخص «اللئيم» الخاطىء الذي حظى بالعفو. وطبق هذا التفسير يكون معنى الرواية: إن حظى الإنسان الكريم الخاطىء بالعفو أدى ذلك إلى صلاحه، أمّا العفو عن الإنسان اللئيم والوضيع فلا يقتصر على عدم إصلاحه، بل يستغل

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٦٣.

ذلك العفو فيصبح أكثر جرأة فيوغل في الفساد، وعليه فنتيجة هذا العفو الإفساد. والرسالة الأخلاقية لهذه الرواية تبيّن أنّ العفو يجرى وفق نظام، فحين فتح النبي الاكرم صلى الله عليه وآله مكة أصدر عفوا عاما[١]. فكان لذلك العفو بالغ الأثر الإيجابي على غالبية أهل مكة، بينما استثنى بعض الأفراد الذين أبوا الإصلاح وأمر بقتلهم. قال تعالى بشأن ثمرة هذا العفو العام: **﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾**[٢]. فكان هذا الإقبال العام على الإسلام دون أدنى إجبار وإكراه ثمرة عفو وصفح نبي الإسلام صلى الله عليه وآله. وهذه القضية درس للجميع ولا سيّما قادة المجتمع. وقد طرحت مسألة العفو والصفح بصورة واسعة في آيات القرآن الكريم والروايات، ولا يسع المقام ذكر تلك الآيات والروايات[٣].

---

١. بينات، ج ٢، ص٣٣٨.

٢. سورة النصر، الآية ٢.

٣. راجع ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٣٥٨.

الآثار المهمة للاذكار

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل قل عند كل شدّة «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم» وقل عند كل نعمة «الحمد لله» تزدد منها، وإذا أبطأت الأرزاق عليك «فاستغفر الله» يوسع عليك فيها».[1]

الشرح والتفسير

إنّها نصيحة معلم عظيم كعلي عليه السلام لتلميذ مستعد مثل كميل بثلاثة أذكار رفيعة لثلاثة أهداف كبيرة. نعم فلدى المعصومين عليهم السلام كل شيء حتى الأوراد والأذكار ولا حاجة بهم للآخرين. فهنالك آثار مهمّة لهذه الأذكار الثلاثة المذكورة في الحالات الخاصّة الواردة في الرواية؛ المهم الالتفات إلى هذه النقطة وهي أنّ «الذكر ليس مجرد لقلقة لسان» وعليه إن لم نلتفت إلى مفهوم هذه الأذكار الرفيعة ولم نطبق مضامينها على صعيد المجتمع فسوف لن نظفر بتلك الآثار. فمعنى الذكر «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» أنّ القدرات كافّة بيد الله وهو حلّال جميع المشاكل وكل ما في الوجود منه. فإن صدقنا بهذا المعنى وطرقنا بالنتيجة بابه بكل كياننا وترسيخ إيماننا بهذه المفاهيم، إن إعترتنا حالة أشبه بحالة الغريق في البحر بأن لا نفكر

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٧٠.

بقوّة أخرى سوى قوّة أخرى سوى قوة الله فإنّه سيكفينا في مشاكلنا. ورسالة الذكر «الحمد لله» أن لا نغتر بما ننال من نعمة ويجب أن نثق أنّها حقّاً من الله فلا نُسيء الانتفاع بها والبخل بها فإن تلك النعمة سوف تزداد. وهكذا الذكر الثالث «أستغفر الله» فمعنىٰ الإستغفار أن لانعود إلى الذنب، فالذنب أحد عوامل المعضلات الاقتصادية في المجتمع، والمجتمع العاصي سيكون مجتمعاً فقيراً[1]. طبعاً بروز هذه المعضلات حين المعصية هي إنذار للمؤمنين. وعلى ضوء هذه النظرة فإنّ ظهور المشاكل المذكورة بحد ذاته نعمة، ومن هنا أوكَل الله تعالى الكفّار لأنفسهم وليس لهم من نذير ليوقظهم من غفلتهم حتى يغرقوا في آثامهم.

---

١. للوقوف على المزيد بشأن آثار المعاصي في الدنيا راجع الكتاب المحقق حول صلاة الاستسقاء، ص٨١ فصاعداً.

٤

آداب البيع والشراء

قال الإمام علي‏عليه السلام: «وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لاتجحف بالفريقين من البايع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف».[1]

الشرح والتفسير

هنالك ثلاث مشاكل تهدد المجتمع الإسلامي:

١- الغزو الثقافي للعدو الذي استهدف بقسوة عقائد المجتمع الإسلامي وآدابه وسُننه.

٢- بث الفرقة في الصفوف المتراصة للمسلمين والذي يعد من الوسائل القديمة للأعداء.

٣- التضخم والغلاء الفاحش الذي يُسبّبه سوء الإدارة أو مخططات الأعداء.

ولابدّ من الإلتفات إلى النقاط التالية بشأن المشكلة الثالثة التي تشكل موضوع الرواية المذكورة:

أ) يمكن تحمل التضخم والغلاء اقتصادياً في حده المعقول والمتعارف. أمّا الأسعار الآنية والقيمة المضطربة المتغيرة كل حين فهي نوع من الفوضى والإرباك الاقتصادي. وهنا

---

١. نهج البلاغة، الرسالة ٥٣، (عهد الإمام علي‏عليه السلام إلى مالك الأشتر).

يتوجب على الحاكم الشرعي الوقوف بوجه هذه المشكلة وإيجاد الحلّ لها.

ب) إنّ يد المشرّعين ليست مغلولة من الناحية الشرعية، فما يقال إنّه ليس للسلعة من حد معين، بل يتبع اتفاق البائع والمشتري إنّما يتعلق بالظروف الاقتصادية الاعتيادية، لكن تستطيع الحكومة الإسلامية تحديد ثمن السلع في الظروف غير العادية، وإلّا فإنّ الناس سيُعاقبون من استغلال البائعين لهم. وعليه يمكن تشخيص أسعار السلع ومعاقبة المسيئين طبق العناوين الثانوية وفي ظلّ الشرائط الاقتصادية الخاصة، بل يستفاد من الرواية الواردة ضرورة إشراف الحكومة الإسلامية بالعنوان الأولي على الأسواق وتنفيذ التعزيرات الشرعية في المتجاوزين.

ج) لابدّ أن يتعاون الناس في هذه الظروف الحساسة ويهبوا عملياً لمواجهة الباعة المستغلين وذلك بالامتناع عن شراء السلع الغالية.

د) القضية الأخيرة أنّ الحكومة الإسلامية ينبغي أن لا تغير أسعارها علىٰ الأقل في الوقت الذي يضغط فيه صعود الأسعار على أبناء المجتمع. وهكذا يمكن السيطرة على الغلاء بغية الحفاظ على الإسلام والثورة من خلال رعاية الأمور الأربعة المذكورة.

٥

طول الأمل

قال الإمام علي‏عليه السلام: «ما أطال أحد الأمل إلّا نسي الأجل وأساء العمل».[1]

الشرح والتفسير

نعم، فطول الأمل يصيب الإنسان بسوء السلوك وقبح العمل وينسيه الأجل. طبعاً هنالك «رجاء» و«أمل» والأول إيجابي والمراد منه الأمل البناء، بينما قد يكون للأمل معنى سلبي وغير بنّاء. وقد خاض الإمام علي‏عليه السلام في هذه الرواية العميقة المعنى في أحد الأبعاد السلبية للأمل ويذكر تأثيره السيىء على أعمال الإنسان.

سؤال: لم كان «طول الأمل» سيئاً لهذه الدرجة؟

الجواب: إنّ لزخرف الدنيا المادي جاذبة قوّية من بعيد، لكنّه سرعان ما يفقد هذه الجاذبية حين يقترب منه الإنسان ويعتاد عليه. كالمخدرات التي لها جاذبة لبعض الأفراد قبل تعاطيها، أمّا إن أدمنوها لم تعد لها من جاذبية لديهم، ولابدّ من أن يضاعفوا من مقدارها حتى تقذف بهم في لهوات الموت. فالشخص المستأجر والذي يعاني من المشاكل يتمنى أن يظفر ببيت مهما كان صغيراً حيث تكون له جاذبة خارقة لديه، فإن حصل عليه يصبح

---

١ . غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٦، ص ١٠١، ح ٩٦٧٦.

عادياً بعد مدّة قصيرة فيأمل ببيت أكبر وإمكانات أوسع، ثم لا يقتنع بذلك فيفكر كلّ يوم ببيت أوسع. وعليه فليس للآمال من حدود، ولذلك إن أراد الإنسان تحقيق جميع آماله وجب عليه أن يوظف جميع طاقاته لبلوغها، ومن الطبيعي أن لا يعد لديه من وقت وقوّة يوظفها للآخرة. ومن هنا تواترت روايات المعصومين عليهم السلام التي تذم طول الأمل والذي اعتبر مدعاة لنسيان الآخرة[١].

وينبغي الإنتباه لهذا الموضوع حيث إنّ زيادة النعمة التي تتطلب عادة آمالاً طويلة لتحصيلها قد تكون أساس الشقاء في أغلب المواضع «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله براعي إبل فبعث يستسقيه فامتنع. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أكثر ماله وولده. ثم مر براعي غنم آخر فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أُرزقه الكفاف. فسأله بعض أصحابه عن هذا الدعاء؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى»[٢].

---

١. جاء عن الامام علي عليه السلام أنّه قال: طول الأمل ينسي الآخرة» الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ١٨٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٦١، ح ٤.

٦

ثمن الجنّة

قال الإمام علي عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

«لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجيء التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين».[1]

الشرح والتفسير

حقاً إنّ كلمات الإمام علي عليه السلام رائعة وهذه العبارة من أروعها. فقد اختزنت هذه العبارة ثلاث وصايا مهمّة تتضمّن خير الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع:

١. إنّ الجنّة لا تعطى عبثاً ومجرّد الكلام دون العمل لا ينجي الإنسان. ومجرّد ادّعاء حب الدين والولاية وأئمّة الدين لا يحل عقدة من مشاكلنا وليس هنالك من أمل بالاستقرار والراحة في عالم الآخرة بلقلقة اللسان ومجانبة العمل. فادّعاء محبة وموالاة أهل البيت عليهم السلام يكون مجدياً حين يقترن بالأعمال الصالحة بحيث لو ارتكبنا زللاً وخطأً أمكن تلافية بالولاية والشفاعة وما شابه ذلك. ويتضح ضمنياً من المطالب المذكورة مدى الخطأ الذي عليه من يدعي حبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وليس لديه أي زاد من الأعمال الصالحة.

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ١٥٠.

٢. لا تنسجم التوبة والإنابة إلى الله مع طول الأمل ـ سيما أن ليس للإنسان أي علم بمستقبله ولا يدرى متى يموت. ترى كيف يطيل الأمل مَن لا يدري أحيّ هو أم ميّت بعد لحظة؟! أم كيف يستطيع التوبة من يطيل الأمل؟! إنّ الأجل إنذار خطر ودواء ناجع لعلاج هذا الداء. فلمّا حل أجل نبي‌الله سليمان عليه السلام قبض واقفاً ولم يؤذن له بالجلوس[1]. وعليه فلا ينبغي أن نؤخر التوبة بطول الأمل.

٣. الموعظة الثالثة للإمام عليه السلام: لا تكن ممّن يختلف قوله عن فعله. فهناك من يتحدث عن الدنيا وكإنّه زاهد وتارك للدنيا، بينما هو مُكبٌّ على الدنيا ومتعلق بها، فاسع إلى أن ينسجم قولك مع عملك. يا ويلي إنّ لساني يحبّ عليّاً بينما عملي كعمل معاوية! أتحدث عن المعنوية وعبادة الله والروحيات لكني أغرق في بحر المادية وعبادة زخارف الدنيا! من هم الراغبون في الدنيا؟ إنّهم أولئك الذين وقفوا على مفترق طريقين فولّوا ظهورهم لله وأقبلوا على الدنيا. فالناس حين يبلغون مفترق طرق يكونون طوائف:

الأولى: الأفراد الذين اختاروا الدنيا بصورة عمياء وهجروا الله.

الثانية: الأفراد الذين زهدوا في الدنيا واختاروا سبيل الآخرة.

والثالثة: الأفراد المترددون الشكاكون مثل عمر بن سعد الذي كان يبغي ملك الري بثمن قتل الامام الحسين عليه السلام ويطلب الجنّة، فينبغي لنا أن نمتحن أنفسنا حين يقع النزاع بين عقولنا وأنفسنا الأمّارة بالسوء لندرك من أية طائفة نحن.

---

١. التفسير الامثل، ج ١٨، ص ٤٤ وتأريخ الأنبياء، ص ١٩٧.

حرية الإنسان

قال الإمام علي عليه السلام: «أيّها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أَمةً وإنّ الناس كلّهم أحرار».[1]

الشرح والتفسير

عامّة الأمّة مخاطبة من قِبل الإمام بهذه الرواية، لأنّه لم يخاطب طائفة معينة، بل خاطب جميع أبناء الإنسان، فخطاب «يا أيّها الناس» في المواقع التي لهابعد حقوق الإنسان، بينما هنالك بعد حقوقي إسلامي في خطاب «ياأيّها الذين آمنوا». فالناس جميعاً أحرار طبق هذه الرواية وقد ابتنى خلق الإنسان على الحرية والتحرر من عبودية غير الله. وإن نقضت هذه المادة في موضع فلها بعد استثنائي. فحريّة الإنسان طرحت من قبل الإسلام قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة وهي جديرة بالتأمل؛ لأنّ الحرية لم تكن قضية أساسية ومتعارفة آنذاك، خلافاً لما عليه اليوم حيث أصبحت قيمة الحرية قضية بديهية. فأصل ضرورة الحرية موضوع واضح، بل من البديهيات التي تحظى بقبول الجميع وتسعى لنيلها جميع الشعوب الخاضعة لسيطرة المستعمرين. وهنالك أمران لابدّ من تأملها والتوقف عندهما:

---

١ . ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٣٥١، الباب ٧٧٩، ح ٣٥٥٦.

١. لم كانت الحرية قيمة؟ ماذا لو غابت الحرية؟ وماذا سيكون لو كانت؟ للأسف أنّ فلسفة الحرية قلّما نوقشت. ففلسفة الحرية واضحة: للإنسان قوى وقابليات ولا يسعه تفجير هذه الطاقات إلا بزوال ما يعترضه من عقبات، فيستطيع تحصيل العلم والمعرفة بحرية ويندفع نحو التكامل، ويقوم التكامل على دعامتين:

أ) الاستعدادات الباطنية.

ب) إنتفاء المانع. وعليه فإنّ فلسفة حريّة الإنسان استفادته من استعداداته وقابلياته الباطنية. ومن الواضح أنّ ازادهار استعدادات الإنسان الباطنية يتحقق بصورة أفضل في الوسط الحر. فليس هنالك من مجال للمقارنة بين حياة نبات في مزهرية وحياة نبات في أرض زراعية.

٢. مانوع الحرية المطلوبة؟

يتضح مما مر في النقطة الأولى أن النوع المطلوب من الحرية هو ما كان في مسار تكامل الإنسان. وعليه فإنّ فلسفة الحرية تبيّن حدودها، ذلك لأنّ الحرية على أنواع:

١. الحرية المطلقة؛ وليس لهذه الحرية من وجود سوى في الغابات وبين الحيوانات الوحشية لا غير. فلكلّ أن يفعل ما يشاء في هذه الأمكنة، ومن الواضح أنّه ليس هنالك مَن يتبنى هذه الحرية.

٢. الحرية ضمن نطاق القوانين البشرية التي تتغيير وتتأول على الدوام، فحرية من لا يؤمن بالدين ولكنّه يقرّ بالقانون لابدّ أن تكون في إطار القانون وواضح أن لا تناقض بين القانون والحرية، بل القانون يصونها.

٣. الحرية في نطاق القيم الشرعية؛ كحرية أتباع الأديان الإلهيّة في إطار القيم الدينية، فهؤلاء لا يأذنون قط بانتهاك حرمة هذه القيم والمثل باسم الحرية.

من البديهي أنّ الحرية من النوع الأول ليست مطلوبة من قِبل أحد من الناس، والنوع الثاني أساس أنواع المشاكل والمصائب. والنوع الثالث فقط هو الذي يسعه ضمان سعادتنا والثوب الذي يسع قامة الإنسان.

رحى جهنم

قال الإمام علي‌ﷺ: «إنّ في جهنّمَ رحى تطحن، أفلا تسألونني ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها يا أميرالمؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقرّاء، الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة...»[1].

الشرح والتفسير

كفى بنار جهنّم للآثمين عقوبة، النار: **﴿الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾**[2].

غير أنّ بعض أصحاب النار ومنهم الفئات الخمس المذكورة يضاعف لها العذاب، وسبب ذلك أنّهم استغلوا مواقعهم. التفت إلى مضمون الحديث:

«إنّ في جهنّم رحى تطحن»: هذه الرحى تطحن خمس جماعات من الناس. فقيل: ما طحنها يا أميرالمؤمنين؟ فقال‌ﷺ:

١. العلماء الفجرة: الفئة الأُولى من العلماء الذين يحملون المصابيح والموثوق بهم في الدين والإيمان والعقيدة، والعالم الفاجر والمنحرف كالسارق الذي يحمل مصباحاً بيده حيث يسرق ما يشاء ويختار ما يريد. وقد حذّر الإمام الحسن العسكري‌ﷺ في رواية من أن

---

١. ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٣، الباب ٦٢٠، ح ٢٩٢٢.

٢. سورة الهمزة، الآية ٧.

خطر هؤلاء العلماء يفوق خطر عسكر يزيد[1].

٢. والقرّاء الفسقة: والفارق بين العلماء الفجرة والقرّاء الفسقة أنّ القرّاء كانوا يقتصرون على تعليم الناس القرآن، أما العلماء الفجرة فهم معلّموا الناس سائر العلوم. وإنّ فسق هؤلاء يضاعف الخطر وحيث إنّ مواقعهم مهمّة ويتعاملون مع أرواح الناس وقلوبهم ولا سيما أنّهم يتعاملون مع الشبّان فإنّ عذابهم شديد.

٣. والجبابرة الظلمة: هؤلاء هم الفئة الثالثة الذين تطحنهم رحىٰ النار؛ ويأتي خطر هذه الفئة بعد العلماء الفجرة والقرّاء الفسقة، لأنّ أولئك يغيرون عقائد الناس، أمّا الجبابرة الظلمة فيسومون الناس الظلم والجور.

٤. والوزراء الخونة: هؤلاء أيضاً ممّن تطحنهم الرحى، وسبب نعت الوزراء بالخيانة والجبابرة بالظلم لأنّ هؤلاء الوزراء يخونون زعمائهم ويصورون لهم الضلال هدى بالاضافة إلى خيانتهم أنفسهم وأمتهم.

٥. والعرفاء الكذبة: المراد من العرفاء هنا الخبراء. وعليه فإنّ الفئة الخامسة هم أهل الخبرة والاختصاص الكذبة. وتشمل هذه العبارة جميع الوسائل الإعلامية المشوبة نوعاً ما بالكذب وعرض ما يخالف الحقيقة؛ الوسائل التي ينبغي أن تري الحسنات والمعروف والصراط المستقيم، لا أن تطرح الأكاذيب وتروج التحلل وتستغفل الناس وتلقي بهم في الشبهات والأضاليل ويتضح ضمنياً من هذا الحديث أنّ المجتمع يدور حول محور هذه الفئات الخمس، فإن صلحت هذه الفئات صلح المجتمع، وإن انحرفت فسد المجتمع. ونقطة انحرافها تكمن في تقديم المصالح الشخصية على المصالح الاجتماعية والقيم المادية على المثل الدينية.

---

١. راجع شرح هذه الرواية في الامثال القرآنية، ج ١، ص ٢٣٠.

٩

الآفات

قال الإمام علي‏عليه السلام: «لكلّ شيء آفة».

الشرح والتفسير

لكل شيء في عالم الوجود كما ورد في هذه الرواية آفة أو آفات؛ أي أنّ جميع كائنات العالم عرضة للآفة ولا استثناء في ذلك. على سبيل المثال ما أعظم الآفات والاضرار التي تصيب أجسامنا نحن الناس. فأنواع الأمراض التي يتجاوز تعدادها الآلاف تهدد صحتنا على الدوام. ومن هنا كانت هنالك عدة فروع طبية لمعالجتها، حتى أن آفات عضو معين (كالعين مثلاً) على درجة من الكثرة بحيث يتعذر أن نرى في العالم جميعاً طبيباً متخصصاً بجميع أمراض العين؛ بل هنالك عدّة اختصاصات في العين. وروح الإنسان كذلك؛ وهكذا النباتات والحيوانات والمجتمع البشري وبالتالي فلكل شيء آفة. وعلى ضوء هذا الأصل الكلي والعام لابدّ من مراقبة الآفات في كل نجاح وموفقية، وبخلافه يبقى ذلك النجاح والانتصار مهدداً بالأخطار. وقد واصل الإمام‏عليه السلام كلامه فبيّن آفات ما يقارب ثلاثين نعمة، نكتفي هنا بالإشارة إلى أربع منها:[1]

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ١١٠، الباب ٩٧، ح ٥١٤.

١. «آفة الورع قلة القناعة»[١] الأمر الذي يقذف بالإنسان في الحرمات، ويجعله حريصاً على استغلال الأموال المشتبهة، والشيء الذي يسوق الأفراد ضعاف الإيمان إلى ترك الخمس والزكاة، والشيء الذي يجعل الإنسان يفعل كل شيء لجني كثير من الأموال. ولو اقترنت حياة الإنسان بالقناعة لسهلت إدارتها. جاء في سيرة هارون الرشيد أنّه كان ينشر في حفلة زفاف أحد أولاده بعض الأوراق التي كتب على كل منها ملكاً معيناً بدلاً من نشر العملات.[٢] ومن الواضح أنّ الشخص إذا أراد أن يفعل هذا الأمر لا يسعه القناعة بالحلال، بل يضطر لممارسة الغصب والسرقة وسائر الأعمال الفاحشة، بينما لا يقارف مثل هذه الأعمال لو عاش القناعة.

٢. «آفة القوي استضعاف الخصم»[٣] فآفة ذوي القوة والقدرة والمجتمعات المقتدرة الاستخفاف بالأعداء. لا تقل: الغزو الثقافي ليس بمهم! لا أهميّة لتلك الصحيفة إن مارست الإهانة! ليس هنالك من تأثير لو انحرف الفلم الفلاني و...؛ لأنّك إن استصغرت العدو تلقيت صفعته.

٣. «آفة الدين الهوى»[٤] فآفة الدين شيء باطني يدعى هوى النفس.

٤. «آفة العقل الهوى»[٥] فهوى النفس يشل عقل الإنسان ويجعل الإنسان عظيم الزلل. والهوى يصبح حجاباً. فعبادة الهوى وعبادته آفة الدين وآفة العقل. نعم فلكل شيء آفة، ولابدّ من التعرف على الآفات بغية مواجهتها.

---

١ . ميزان الحكمة، ج ١، ص ١١١، الباب ٩٧، ح ٥٣٧.
٢ . الاخلاق الاسلامية في نهج البلاغة، ج ١، ص ١١٨.
٣ . ميزان الحكمة، ج ١، ص ١١١، الباب ٩٧، ح ٥٤١.
٤ . المصدر السابق، ص ١١٠، الباب ٩٧، ح ٥١٣.
٥ . المصدر السابق، ص ١١١، الباب ٩٧، ح ٥٢٦.

١٠

هل الأكثرية معيار مطلق؟

قال الإمام علي عليه السلام: «أيّها الناس لاتستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله».[١]

الشرح والتفسير

إحدى آفات عقل الإنسان استسلامه للأكثرية في المجتمع والذي ورد النهي عنه في الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام؛ بل ورد في بعض هذه الآيات مدح الأقلية وذم الأكثرية، مثلاً جاء في الآية الشريفة ١١٦ من سورة الأنعام: **﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**. أضف إلى ذلك فقد وصفت هذه الأكثرية في أكثر من عشر آيات بالجهل وفي خمس بالجحود وفي أربع بفقدان الإيمان. وبالنظر لما يستفاد ممّا ورد في الآيات والروايات من ذم الأكثرية، ومن جانب آخر يطالعنا الكلام في عالمنا المعاصر عن الأكثرية وأنّ معظم القضايا المصيرية اليوم تدور حول محور الأكثرية، ترى ما هو المعيار؟
الجواب: إنّ المجتمعات البشرية مختلفة. فالمجتمع الذي يتولّى إدارة شؤونه الصلحاء تكون التقوى والصلاح في تبعية الأكثرية، أمّا إن تولّى ذلك عبدة الأهواء فإنّ الإسلام لا يوصي قط باتباع الأكثرية العابدة للأهواء، لأنّ ذلك لا ينسجم مع العقل والمنطق. بعبارة أخرى إنّ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠١.

الإسلام يدعو إلى اتّباع الأكثرية الكيفية لا الأكثرية الكمية! ومن هنا قال تعالى في الآية الشريفة السابقة من سورة هود والثانية من سورة الملك: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ولم يقل «أكثر عملاً» لأنّ الأكثرية الكيفية هي المهمّة لا الكمية! ولكن ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة وهي أنّ مسألة اتّباع الأكثرية في عالمنا المعاصر سبيل بائس! حيث لا يوجد في المجتمعات غير الدينية معيار للأكثرية الكيفية، والجميع يدّعون أنّهم الأفضل. وعليه فهم مضطرون للعمل طبق رأي الأكثرية لحفظ نظام المجتمع؛ وإن كان العالم والمدير والمدبّر بمقتضى ذلك علىٰ رأي واحد، والفرد الأمي والجاهل علىٰ رأي واحد كذلك! وعليه فالآيات المذكورة وأمثالها ليست بشأن المجتمع الصالح والسليم.

لا ينبغي أن نتبع الأكثرية في سلوكنا الأخلاقي، وإن اضطررنا للإتباع في حياتنا السياسية. وعليه لو أكلت اكثرية الناس على الأرض المال الحرام ولم تتورع عنه فلا ينبغي أن نتبع هذه الأكثرية. ولو كذبت هذه الأكثرية حين تتعرض مصالحها الشخصية للخطر فلا ينبغي أن نفارق صف الجماعة الصادقة بحجة كوننا أقلّية ونخشى قلّة الصادقين فنلتحق بصف الكاذبين. فالإنسان المؤمن لابدّ أن يكون مستقلاً في المسائل الأخلاقية، أي لو تلوث جميع من على الأرض (فرضاً) بالخمر فلا ينبغي له أن يستوحش من وحدته في هذا المسير ويحتذي بمنطق «حشر مع الناس عيد» أو يقول: «من يقول الصدق لنصدق نحن؟».

وما شابه ذلك؛ ذلك لأنّ هذه الأعذار ليست مقبولة يوم القيامة فالإنسان يعيش الصلاح ويطوي مسيرته إلى الله حين لا يصغى لما يقوله الآخرون، بل يرى ماذا يقول الله.

اللهم اجعلنا من سالكي طريق الحق، وأزِل عنّا وحشة الوحدة في هذا الطريق.

١١

الإحسان

قال الإمام علي عليه السلام: «نعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد».[١] وقال في رواية أخرى: «رأس الإيمان الإحسان إلى الناس».[٢]

الشرح والتفسير

إنّ إحدى بركات الحكومة الإسلامية «عيد العواطف»، «عيد الإحسان»، «مشروع الإكرام» وسائر المشاريع المشابهة التي يهب فيها المجتمع لمساعدة الطبقات الفقيرة. لا شك في أنّ مساعدة الآخرين من العبادات المهمّة، بل واحدة من أهم العبادات. ومن هنا وصف الإمام علي عليه السلام هذا العمل في الرواية الأولى أنّه أفضل متاع وزاد عالم الآخرة. ولو ضممنا هذه الرواية للآية الشريفة: **﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**.[٣] لا تضح أنّ الإحسان وليد التقوى والتقوى وليدة الإحسان. وعليه فالدافع الأصلي للناس من المساعدة ينبعث من التقوى والإيمان، والواقع هو أنّ الإسلام أقوى مشجع على الإحسان. وتضمنت الرواية الثانية علاقة الإحسان بالإيمان، فالإنسان الضعيف الإيمان لا يحسن، بينما المؤمنون الأقوياء

---

١. غرر الحكم، ج ٦، ص ١٦١، ح ٩٩١٢.

٢. غرر الحكم، ج ٤، ص ٥٢، ح ٥٢٥٣.

٣. سورة البقرة، الآية ١٩٧.

هم أهل الإحسان. والطريف أنّ الإحسان لم يطرح في هذه الروايات ليقتصر على المسلمين والمؤمنين، بل ورد في إحداها الإحسان إلى عباد الله وفي الأُخرى الإحسان إلى الناس، ومفهوم ذلك أنّ الإحسان يوجب مضاعفة الإيمان والتقوى وإن كان للفقراء والمحتاجين غير المسلمين، لأنّ الله يحبّ جميع عباده ومن أحبّ عبادالله فقد أحبّ الله. ولذلك فالإحسان لكل محتاج مشروع ومطلوب.

آثار الإحسان:

للإحسان تأثيران؛ تأثير في المحسن وتأثير في المحسن إليه، والتأثير على المحسن يفوق نظيره على المحسن إليه (خلافاً للمتصور عادة ومن هنا اقترن الإحسان في أغلب الموارد بالمن والأذى). والجدير ذكره أنّ القرآن عبر عن الزكاة التي تعد نوعاً من الإحسان «تطهرهم» و«تزكيهم»[١]؛ أي أنّ الإحسان يؤدي إلى طهارة وتزكية المحسن ويسهم في تعاليه الخلقي وزوال الصفات الذميمة والرذائل. والشاهد على ذلك ما ورد في الرواية من أنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تصل الفقير.[٢] كما تدل على ذلك آية الإنفاق[٣] حيث يؤدي الإنفاق إلى سمّو وتكامل المنفق. النقطة الأخيرة أنّ الإحسان لا يختزن الطهارة الفردية فحسب، بل يؤدّي إلى الطهارة الاجتماعية؛ لأنّ أحد أهم عوامل المعاصي الاجتماعية هو الفقر، فإنّ طوي الفقر في ظلّ الإحسان طهر المجتمع.

---

١. وردت هاتان العبارتان في الآية الشريفة ١٠٣ من سورة التوبة.

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٠٢؛ نقلاً عن أمثال القرآن، ج ١ ص ١٠٩.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٦١.

١٢

الأخلاق وكنوز الأرزاق

قال الإمام علي عليه السلام: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».[١]

الشرح والتفسير

حين بلغنا البحث حول صفة «حسن الخلق» في تفسير الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ١٣٥ رأينا سعة هذا البحث، ورغم مطالعاتنا السابقة حول هذا الموضوع فقد وجدنا عبارات في القرآن والأحاديث قلّما وردت في مسألة أخرى. بعبارة أسهل فإنّ حسن الخلق والبشاشة والأدب وحسن التصرف مع الناس من أسس الإسلام. والروايات الكثيرة بتعبيراتها الرائعة الفريدة وتؤكد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يولي فائق الأهميّة لحسن الخلق. وللأسف لم تلق هذه المسألة تلك الأهميّة في الأوساط الإسلامية بل عمل على العكس منها، حتى ظن البعض أنّ الفرد الملتزم لابدّ أن يكون عبوساً وعنيفاً وجافاً! والحال هذا خطأكبير. الواقع ماورد في هذه الرواية إحدى الفوائد الدنيوية للأخلاق الحسنة. وقد دلت التجربة على أنّ من حسنت أخلاقه حسنت معيشته وحياته. وقد اطّلعنا على إحصاء عن كيفية كسب وعمل بعض الكسبة يفيد أنّ الكسبة الحسني الخلق كانوا موفقين بنسبة ٧٠٪ وسيىء الخلق بنسبة ٣٠٪؛ اي ان ٤٠٪ حصة حسن الخلق! ذلك لأنّ حسن الخلق يجذب

---

١. ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٥١، الباب ١١١٤، ح ٥٠٧٩.

الناس وسوء الخلق يطردهم. فلابدّ أن يتحلى جميع المسلمين سيما من يتعامل مع الناس بالبيع بحسن الخلق، فحسن الخلق يعمر المجتمع ويؤدّي إلى طول العمر، حيث ورد في الحديث «إن البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[1].

سؤال: لماذا يوجب حسن الخلق سعة الرزق؟

الجواب: إنّما يشترى الإنسان سلعة من الكاسب في المثال المذكور حين يثق به. فإن شك في كاسب وضعفت ثقته به هرب منه وعليه لابدّ للكاسب أن يحظى بثقة المشتري وأحد طرق ذلك المعاملة الحسنة، فالمشتري يرى حسن الخلق للبائع نابع من أمانته وصدقه وثقته. نقل شخص إني ذهبت للعلاج في أحد بلدان الغرب، وبعد العلاج والمعاملة الحسنة والاستقبال الرائع طلبت قائمة الحساب، فقالوا لي بمنتهى الأدب والاحترام: لا تعجل بهذا الخصوص عد سالماً إلى إيران وسنرسل لك قائمة الحساب ولك أن تضع المبلغ المطلوب برقم الحساب المذكور أسفلها. وبالمقابل هنالك بعض المستشفيات في بلداننا الاسلامية لا يستقبلون المريض مالم يدفع النقود، فأين هذا من ذاك؟ للأسف ما كان يخشاه الإمام علي عليه السلام ـ سبق الآخرين للعمل بالإسلام ـ تحقق في بعض الأمور.

١ . ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٥١، الباب ١١١٤، ح ٥٠٧٧.

١٣

العرفان بالقيمة

قال الإمام علي عليه السلام: «ليس مَن ابتاع نفسه فأعتقها كمن باع نفسه فأوبقها». [١]

الشرح والتفسير

صنّف أميرالمؤمنين عليه السلام الناس إلى صنفين:

١. صنف ابتاع نفسه فحرّرها.

٢. صنف باع نفسه فحبسها.

ولمزيد من إيضاح مضمون هذا الحديث لابدّ من شرح مختصر حول الشراء والتحرر. فقد شبهت نفس الإنسان بالغلام المملوك لغيره، والإنسان الحر من يشتري نفسه ويحررها. وبعبارة أخرى الإنسان أسير؛ أحياناً أسير الشهوات وأخرى أسير المنصب والمقام وتارة أسير المرأة والولد وأخرى أسير الخيال والوهم، وعليه أن يحرر نفسه من هذا الأسر، لا أن يبيع نفسه إزاء ذلك ويربط نفسه بأغلالها.

سؤال: لم يبيع بعض الناس أنفسهم؟

الجواب: هذا البعض إمّا لا يعرف قيمة نفسه ولا يدري أن قيمته واستعداده على درجة

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

ربّما تفوق الملائكة ويصبح إمامهم[1] وأبعد من ذلك خليفة الله في الأرض. وعليه فمن باع نفسه من لا يعرف قيمته ولم يقف على مقداره الثمين، أو أنّه لا يعرف تفاهة الثمن المقابل لنفسه ومتاعه؛ على سبيل المثال الشخص الذي يبيع كرامته بالهوى والهوس إمّا لا يعرف ثمن كرامة النفس أو لم يدرك تفاهة الهوى والهوس. قال الإمام علي عليه السلام: «ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها».[2]

وطبق هذه الرواية فإنّ بضاعة وجود الإنسان في هذا العالم الواسع ليس لها سوى مشترٍ مناسب وثمن ممّاثل وهو الله تعالى الذي يدفع إزائها جنّته ورضاه.

والخلاصة ليس هنالك من يخرج من هذين الصنفين وعلينا أن نرى لأي صنف ننتمي.

١ . قيمة الإنسان رفيعة بحيث قال جبرئيل الأمين الملك المقرب لله وأمين الوحي لم نتقدم على الإنسان منذ سجدنا لآدم (وسائل الشيعة: ج ٤، الباب ٣١ من أبواب الاذان والاقامة، ح ٥).

٢ . نهج البلاغة، قصار الكلمات ٢٥٦.

١٤

القيمة الواقعية للأعمال

قال الإمام علي عليه السلام: «ياكميل ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون الصلاة بقلب نقي وعمل عندالله مرضي وخشوع سوي».[١]

الشرح والتفسير

الأبعاد الواقعية للأعمال وكيفيتها هي التي تعين قيمتها الحقيقية وليس ظاهرها ومقدارها. كما أكد علي عليه السلام على كميل بأن يخوض في روح العمل بدلاً من الاستغراق في ظاهر العمل والاهتمام بمقداره وكثرته؛ لأنّ الهدف النهائي من هذه الأعمال تربية الإنسان وتعليمه وتكامله وهذا مرهون بطهارة العمل لاكثرته.[٢] توضيح ذلك: للعبادات روح وجسم، جسم العبادة الأعمال والأفعال الظاهرية. فجسم الصلاة القراءة الصيحة والركوع والسجود وسائر أركان وأفعال الصلاة التي يجب أن تتمّ بصورة صحيحة، لكن روح الصلاة التوجه إلى المضامين الرفيعة للأذكار وجلاء الروح المتصدئة بالقرآن والتوجه لله وترسيخ التوحيد في مختلف الفروع والالتفات للنبوّة والمعاد وأمثال ذلك والخلاصة على الصراط المستقيم. وتتطلب العبادة الحقيقية التوجه الكلي إلىٰ الله، كما أنّ الصلاة الخالية من الروح لن

---

١. تحف العقول المترجم، ص ١٨٦.

٢. مئة وخمسون درسا من الحياة، ص ١١٨.

تكون صلاة، والصلاة بلا جسم كذلك ليست صلاة، وكما يخطىء المسلم الذي يكتفي بجسم الصلاة دون التوجه لمضامين ومعاني أذكار الصلاة وإخلاص النية، يخطىء أكثر من تشبه بالمسلمين ويترك الصلاة وسائر العبادات بذريعة الوصال بمعرفة الله، ويزعم أنّه يتوجه لروح الصلاة وعمقها.

١٥

الأركان الأصلية للتوبة

قال الإمام علي عليه السلام: «التوبة على أربع دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل يالجوارح وعزم أن لا يعود».[1]

الشرح والتفسير

إستنتاج أغلب الناس للتوبة إستنتاج خاطىء ولهذا فإنّ آثاره قليلة على التوبة الفردية وكذلك الاجتماعية. توضيح ذلك أنّ الصرح العظيم للتوبة لا يبنى على دعامة أودعامتين، بل لابدّ من مراعاة الدعائم الأربع، وبعبارة أخرى لابدّ أن تتجلى آثار التوبة في جميع كيان الإنسان. واستناداً لهذه المقدمة القصيرة نخوض في شرح الدعائم الاربع للتوبة:

الركن الأول: الخطوة الأُولى للتوبة الندم الباطني فيحدث تغيراً حقيقياً في باطن روح الإنسان وقلبه فيندم وينفر مما ارتكب من ذنب.

الركن الثاني: رغم أنّ الندم الباطني الخطوة الأولى للتوبة، لكنه ليس بركنها الوحيد، ومن هنا فإنّ التحول والانقلاب الذي يحدث في باطنه لابدّ أن يؤثر على سائر أعضاء بدنه ويتجلى بواسطة لسانه بصفته ترجمان قلبه، فاللسان يتوب من الذنب تبعاً للقلب وينطلق

---

١ . ميزان الحكمة، ج ١، ص ٥٤٨، الباب ٤٥٩، ح ٢١٦٠.

بالإستغفار. وعليه فانسجام القلب واللسان في النفور من الذنب عمودان من الأعمدة الأربعة للتوبة.

الركن الثالث: أن تنتقل حالة الندم من اللسان إلى سائر الأعضاء وتسوقها لردود الأفعال ليقوم الإنسان بتلافي الماضي. وتستطيع أعضاء الإنسان أن تقوم بثلاثة أفعال في هذه المرحلة لتستقيم حالة التوبة وتترسخ:

أ) يتلافى هضم حقوق الناس التي هضمت بفعل الذنوب، فإن اغتاب أحداً استبرأ منه ذمته، وإن كسر قلب مؤمن جبره، وإن غصب مال الناس عوّضها، والخلاصة يؤدي كل ما عليه من حق لشخص.

ب) أداء حقوق الله فيبادر إلى الإتيان بالعبادة التي تركها ويقضي ما فاته منها ويدفع الكفارة، وأن لا يسوف هذه الأمور لما بعد الموت.

ج) تدارك الأخطاء والسيئات السابقة بالإحسان والعبادة. والشاهد على هذه المرحلة من التوبة قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا**﴾ التي وردت في عدّة آيات قرآنية[1]. فالذنب كالمرض، والكبيرة كالمرض العضال، فالشخص الذي يلّم به مرض عضال وينهض من فراشه بعد المعالجة تتشتت قواه وتغوص عيناه ويضعف ويفقد طاقته. فلابدّ أن يتقوى بالاضافة إلى العلاج، يستعيد عافيته. الذنب كذلك يضعف الإيمان والفضائل الإنسانية فلابدّ من تقوية تلك الفضائل الضعيفة بالأعمال الصالحة عقب التوبة.

الركن الرابع: العزم على ترك الذنب في المستقبل؛ أي أنّ التوبة تبيّن الطريق للإنسان إلى آخر عمره. والنتيجة فإنّ التوبة طبق وصية الإمام عليعليه السلام توجد تحوّلاً تاماً ولا تتعلق باللسان فقط. وهكذا الأمر بالنسبة للمجتمع، فالمجتمع العاصي لابدّ أن يطوي المراحل الأربع عقب التوبة. ترى هل طبقنا هذه المراحل الأربع في مجتمعنا بعد الثورة؟

---

١ . سورة البقرة، الآية ١٦٠، وورد شبه هذه العبارة في الآيات ٨٩ من سورة آل عمران و ١١٩ من سورة النحل و ٥ من سورة النور.

١٦

الأركان الثلاثة للمجتمع البشري

قال الإمام علي عليه السلام: «قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله عزوجل، وبفقير صابر، فاذا كتمَ العالم علمه، وبخل الغني ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور».[1]

الشرح والتفسير

تستفاد بعض الأمور من هذه الرواية، والأمران المهمان هما:

١. العالم لابدّ أن يكون ناطقاً وبخلافه سيكون كالكنز المخفي في التراب لا يقدم من فائدة للمجتمع. وعليه فالخطيب العالم هو الذي يقود المجتمع إلىٰ الصراط المستقيم وقد كان الإمام علي عليه السلام، مصداقاً تاماً وكاملاً «للعالم» كما كان خطيباً بارعاً وأوحداً. أضف إلى ذلك فإن «نطق» العالم لابدّ أن يكون مثل «نطق» نبي الاسلام صلى الله عليه وآله **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾**[2] وعليه فينبغي أن يكون كل ما يقوله لرضى الله وليس إرضاء هوى النفس.

٢. «العالم الناطق» لابدّ أن يبادر للعمل الصالح قبل دعوة الآخرين إليه، وينتهي عن

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١١٩، وردت هذه الرواية بعدة صيغ ووردت بشكل آخر في نهج البلاغة في قسم قصار الكلمات ٣٧٢.

٢. سورة النجم، الآية ٣.

الباطل قبل أن ينتهي الآخرون عنه. وفي هذه الحالة يكون عالماً ربانياً والنظر إليه وحتى النظر إلى باب بيته وحضور مجلسه عبادة وكلامه جهاد في سبيل الله.[١] والمجتمع يكون في خير وصلاح إن لم يحتكر العالم علمه، بل نشره وعمل به قبل الآخرين وأشرك الأغنياء الفقراء في أموالهم، وصبر الفقراء على فقرهم؛ إلّا أنّ المصيبة تحلّ حين يكتم العالِم علمه عن الآخرين ولا يأخذ الغني بيد الفقير والمحتاج ويفقد الفقير صبره وتحمله.

أيّها القارىء العزيز! إنّ كل واحد منّا أحد هذه الأصناف الثلاثة، فلنسأل الله أن يوفقنا في ما علينا من وظيفة.

١ . سئل الصادق عليه السلام: روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: النظر للعلماء عبادة. فمَن هم هؤلاء العلماء؟ قال: المراد العالم الذي إن نظرت إليه ذكرت الاخرة ومن لم يكن كذلك (فليس فقط لا عبادة في النظر إليه، بل) فتنة. ميزان الحكمة، الباب ٢٨٤٥، ح ١٣٤٣٨.

١٧

أسباب شرف الإنسان وعزته

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل أحسن حلية المؤمن التواضع، وجماله التعفّف، وشرفه التفقه، وعزّه ترك القال والقيل».[١]

الشرح والتفسير

أشار أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الرواية إلى أربعة مواضيع مهمّة ومصيرية، والحقيقة أنّه خلق ثقافة بهذه العبارات الأربع وطرح مفهوماً جديداً لبعض الكلمات، نكتفي بشرح العبارة الأولى منها رعاية للاختصار:

العبارة الأولى: «أحسن حلية المؤمن التواضع». فقد استعمل عليه السلام الحلية في هذه العبارة بمفهوم جديد وأخرجها من معناها المادي ليبين لها معنى روحياً. ووردت عدّة مطالب كثيرة في الآيات والروايات في التواضع بصفته حلية المؤمن؛ منها ماورد في الآية ١٨ من سورة لقمان: **﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾** فهل المراد بالمشي في الآية الشريفة المشي الاعتيادي الذي يعد من مصاديق التواضع، أم المشي بالمعنى الواسع للكلمة ويشمل المشي والأسلوب الاجتماعي والسياسي والثقافي والسلوك الصغير والكبير؟ لا يبعد أن يكون المراد المعنى الثاني. جاء في الرواية عن علي عليه السلام أنّه قال: «ثمرة التواضع المحبة وثمرة الكبر

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٣.

المسيئة»[1]. والتواضع بمعنى ترك الكبر وهو مهم للجميع ولاسيما أهل العلم والافراد القدوة للمجتمع. وإحدى علامات التواضع الابتداء بالسلام، حيث كان النبيﷺ يبتدأ بالسلام حسبما ورد في الرواية[2] وهكذا شد إليه قلوب الناس، فلم لا نستفيد من هذا الأمر القليل الكلفة والعظيم الفائدة؟!

أقسام التواضع:

للتواضع ثلاثة فروع: ١. التواضع لله ٢. التواضع لخلق الله ٣. التواضع للحق.

والمراد من التواضع لله واضح، كما هو واضح التواضع لخلق الله. ولا حاجة لذكر هذه النقطة أنّ المراد من خلق الله هنا «المؤمنون». وعليه فلا معنى للتواضع للكفّار والأعداء، بل لابدّ من العزة والرفعة أمام هؤلاء. وأمّا التواضع للحق فعادة ما يتعثر به أغلب من اتصف بالنوع الأول والثاني من التواضع! يجب علينا أن نقرّ بأخطائنا بصراحة وتسلم الدوام للحق مهما كان مرّاً وكان الطرف المقابل أدنىٰ منّا من حيث العمر أو التحصيل العلمي أو المكانة الإجتماعية والأسرية.

---

١. غرر الحكم، ح ٤٦١٤ـ٤٦١٣ (نقلاً عن الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٧٤).

٢. منتهى الآمال، ج ١، ص ٥٤.

١٨

الإعتدال في كل شيء

قال الإمام علي عليه السلام: «مَن بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها خَصِمَ».[١]

الشرح والتفسير

الاعتدال في كل شيء من الأمور التي حثّ عليها الإسلام وهذه المسألة على درجة من الأهمية بحيث تكون مطلوبة حتى في الخصومة والعداوة. وقد دلت التجربة على أنّ الافراط والتفريط عادة ما يختم بمختلف المشاكل، ومن هنا فإنّ «الاعتدال» أصل شامل يسود كل نظام الوجود، فهنالك توازن دقيق في حركة السيارات حول الشمس، بحيث لو اقتربت مسافتها من الشمس لجذبتها فتهلك بفعل الحرارة الشمسية، وإن ابتعدت فرت من جاذبيتها وحرمت من طاقة الشمس. وهذا التوازن والاعتدال عجيب ومذهل في نظام البدن البشري، ولو اختل هذا الاعتدال لبرزت الأمراض فوراً. فهذا الحديث الشريف يعلمنا أن نكون معتدلين في حياتنا الشخصية في كل الأشياء حتى في العداء والمحبّة والأبحاث والمناظرات وفي العبادات والأعمال وأنشطة الحياة وإظهار الحب والسرور والحزن وفي جميع الأشياء.

جاء في تفسير الآية الشريفة ١٤٣ من سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

أنّ المراد من «كذلك» قبلة المسلمين، أي كما أنّ قبلتكم أيّها المسلمون في وسط شرق وغرب العالم ووسط قبلة اليهود والنصارى أنتم أيضاً أمّة معتدلة.[1] وإننا لنطلب هذا من الله عشر مرات على الأقل كل يوم «إهدنا الصراط المستقيم».

---

١ . التفسير الامثل، ج ١، ص ٤٨٣.

١٩

الأغنياء الحق

قال الإمام علي عليه السلام: «لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل».[١]

الشرح والتفسير

الغنى نوعان: ١. الغنى باطن الذات ٢. الغنى خارج الذات.

المراد من الغنى خارج الذات أن يستغني الشخص عن الآخرين بواسطة الأشياء الخارجة عن ذاته؛ بواسطة المقام والقدرة والأصدقاء والأموال وما شابه ذلك. وهذا الغنى خارج الذات الذي ليس له من اعتبار يذكر لا يشبع نهم الإنسان، ومن هنا فالأثرياء أعظم عطشاً من غيرهم! وعلى هذا الأساس حين سئل البهلول عن شخصٍ نذر أن يساعد أفقر الناس فلمن يعطي؟ قال: لهارون الرشيد[٢].

٢. النوع الثاني: الغنى باطن الذات وهو أن يستغني الإنسان بالاستفادة من إمكاناته الذاتية دون الإستعانة بالوسائل الخارجية. وهؤلاء الأفراد يظفرون بالغنى الذاتي في ظل الإيمان والثقة بالنفس والقناعة والتوكل على الله والتقوى التي تعد أعظم ذخيرة، فهم أغنى

---

١ . نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٥٤.

٢ . لم نعثر في المصادر المعتبرة على القصة المذكورة بهذا الشكل، لكن توجد قصة شبيهة بذلك في كتاب البهلول العاقل، ص ٣١: إنّ هارون الرشيد أعطى البهلول مالاً ليتصدق به على الفقراء. فأخذ البهلول المال ثم أعاده للخليفة. وحين سأله هارون قال: لم أجد أفقر من الخليفة.

الجميع. وأهم خصائص الغنى الذاتي تعذر سرقته، وكان عليﷺ ممن عرف بالغنى الذاتي. ومن هنا وقف صامدا كالجبل طيلة مدة سكوته لخمس وعشرين سنة عن حقّه في الخلافة، وحين أتته السلطة لم تأسره، بل هو الذي أسرها ولم يعتن بالدنيا حيث لا يراها مع عظمتها أهون من فعل[١] ومن قضم جرادة».[٢] وأهون من عفطة عنز[٣] ومن عراق خنزير في يد مجذوم[٤]. هذا هو الرصيد الواقعي والدائم.

---

١ . نهج البلاغه، الخطبة ٣٣.

٢ . نهج البلاغه، الخطبة ٢٢٤.

٣ . نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٤ . نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٢٣٦.

الإمارة والإسارة

قال الإمام علي عليه السلام: «أمنن على مَن شئت تكن أميره، واحتج إلىٰ مَن شئت تكن أسيره، واستغن عمّن شئت تكن نظيره».[1]

الشرح والتفسير

القانون المذكور هو الحاكم بقوّة في العلاقات الاجتماعية للأفراد والشعوب حيث «الحكومة لمن يعطي والآخذ تابع شاء أم أبى!». فالأفراد والشعوب المحتاجة في الواقع عبيد وقعت أمر استعبادها باحتياجها للآخرين، ومن هنا ورد الذم في الإسلام لطلب المساعدة من الآخرين واعتبرها مسألة لا أخلاقية ولم يسمح به سوى لبعض الأفراد. وعليه فالمسلم الواقعي من يسعى لإقامة علاقاته الاجتماعية مع الآخرين على أساس التعاون المتبادل لا الذي يقتصر على جانب واحد، وتلقي المساعدة ينبغي أن يختص بالمقعدين من الأفراد[2].
والنقطة الأخرى التي تستفاد من الرواية أنّ الأسر والإمارة والعزّة والذلّة والسعادة والشقاء والفقر والغنى وما شابه ذلك ليست أموراً إعتباطية، بل معلولة لعوامل وعلل علينا توفيرها. فلابدّ أن نجدّ ونجتهد في التعرف على عوامل النجاح والشقاء لنتّجه صوب النوع الأول ونجتنب النوع الثاني.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤٠٠ و ٤٢١ و ج ٧٢، ص ١٠٧ و ج ٧١، ص ٤١١.
٢. مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٢٦.

٢١

الأمن والاستقرار في ظل الدين

قال الإمام عليعليه السلام: «مَن استحكمتْ لي فيه خِصلة من خصال الخير احتملتُه عليها واغتضرتُ فقد ماسواها ولا اغتضرُ فقدَ عقل ولا دين، لأنّ مفارقةَ الدين مفارقةُ الأمن... وفقدَ العقل فقدُ الحياة».[١]

الشرح والتفسير

هذه العبارة لأميرالمؤمنينعليه السلام عميقة المعاني وتشير إلى أخطار يمكن أن تصيب كل مجتمع. فنحن نواجه في عالمنا المعاصر خطرين:

الأول: إنّ العقل بمعناه الواقعي في خطر! وإن كان هذا الخطر بعيداً عن العقل بمعنى الشيطنة والعقل بمعنى الحصول على المنافع المادية. ودليل هذا الخطر أنّ الهوى والهوس يكون رَيناً على عقل الإنسان وحجاباً عليه، فالهوى أحد موانع المعرفة. ويروج عبدة الأهواء هذا الهوى بصيغ مختلفة حتى أنّهم ليصنعون لعب الأطفال بما يسوقهم الى عبادة الأهواء! وأمّا الدين في خطر لأنّ عبدة الأهواء يرون الدين مانعاً في طريقهم فيقاوموه بقوّة وأننا لنشهد الإرباك الأمني المتفاقم في مختلف شؤون المجتمع من جراء إضعاف دور الدين في المجتمعات المعاصرة، فالاضطراب الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والعسكري

---

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٣١، كتاب العقل والجهل، ح ٣٠.

والاقتصادي لمن المصاديق البارزة لهذا الإرباك. ورغم تجاوز الدين والعقل من قبل زعامات العالم الفعلية، بل الهجوم عليها، إلّا أنّ إقبال الناس على هاتين الهبتين الإلهيتين آخذاً بالازدياد كل يوم، لاسيما بالنسبة للدين الإسلامي الذي يلبي حاجات البشرية طيلة الأزمان. وعليه وبالنظر للهجمات التي تستهدف الدين والعقل من جانب (بحيث يسعى لمحو هاتين الدعامتين الحيويتين) واستناداً لعطش البشرية للدين الاسلامي من جانب آخر تتضاعف مسؤولية علماء الدين ومفسري القرآن.

٢٢

البدء بالذات

قال الإمام علي عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه».[١]

الشرح والتفسير

إنّ الأفراد الذين يتصدون للزعامة والقيادة والادارة سواء في منظومة كبيرة كالدولة أو صغيرة كالأسرة فإنّهم يرغبون بأن يصغي إليهم من دونهم ويمتثل أوامرهم. وقد وردت عدّة أبحاث في علوم النفس والتحقيق بشأن التسلل الى الآخرين؛ إلّا أن لأغلبها بعد متضع. لكننا نرى أطروحات رائعة في التعاليم الإسلامية بهذا الخصوص تنسجم مع طبيعة الإنسان وفطرته. والرواية المذكورة تشير إلى هذا المطلب؛ فقد كان معنى كلامه عليه السلام في القسم الأول من الرواية: «علّم نفسك قبل تعليم الآخرين» أي إبدأ بتهذيب نفسك لتوفق في التغيير، فالطبيب المريض الذي لا يعالج نفسه سوف لن يوفق إن بادر لعلاج الآخرين ويصبح مصداقاً للمثل المعروف «طبيب يداوي الناس وهو عليل».[٢] ثم كان معنى كلامه عليه السلام في

---

١ . بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٦.

٢ . المثل المذكور مصرع بيت شعر للشاعر المعروف «الكميت بن زياد بن خنيس» والبيت كما ورد في ←

الشق الثاني: من الرواية «عليك تأديب الناس بسلوكك وأخلاقك قبل تأديبهم بلسانك» أي عليك بالتأديب العملي، على غرار ما كان عليه أولياء الله. فوعظ العالم غير العامل أشبه بالسخرية! ومن هنا ورد تشبيه رائع في الروايات للعالم غير العامل[١].

← تفسير القمي، ج ١، ص ٢٦، كما يلي:

وغير تقي يـأمر النـاس بـالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل

انظر ترجمة هذا الشاعر القدير في الغدير، ج ٢، ص ١٩٧.

١. وردت بعض هذه الروايات في ميزان الحكمة، الباب ٣٦٢٨.

٢٣

الصبر والتحمل

قال الإمام علي عليه السلام: «عليكُم بالصّبر فالصّبرُ من الإيمان كالرأسِ من الجَسدِ ولا خيرَ في جَسدٍ لا رأسَ معه ولا في إيمانٍ لا صبرَ معه».[١]

الشرح والتفسير

الصبر مسألة مهمّة أكّدت عليها آيات القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام بشكل كبير. ويكفي الصبر أهميّة أنّ المستفاد من بعض الآيات أنّه أهم عامل لدخول الجنّة، وهذا ما أشارت إليه الآية ٢٤ من سورة الرعد: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾.

سر أهميّة الصبر:

حين نتمعن أهميّة الصبر ونغوص فيه ندرك خلاصة جميع الواجبات والمحرمات في الصبر؛ حيث يتعذّر الإتيان بالواجبات وترك المحرمات دون الصبر. والصبر على نوعين:

١. صبر سلبي ٢. صبر إيجابي.

الصبر السلبي والخاطىء يعني استسلام الإنسان لكل حادثه؛ فيسلم للظلم والفقر والمرض وما شابه ذلك ولا يبدي أيّة مقاومة. هذا هو الصبر السلبي والذي يردوه خصوم

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٨٢.

الأديان «إنّ الأديان وليدة أفكارالظلمة اصطنعوها لمواصلة ظلمهم».

أمّا النوع الثاني فمثل الرأس بالنسبة للجسد، صبر إيجابي. وهذا النوع من الصبر يمنح الإنسان قوّة تعادل عشرة أضعاف القوّة العادية. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾**[1] والصبر على طاعة الله والابتعاد عن المعاصي صبر إيجابي. والصبر صفة أخلاقيّة بارزة مفيدة جدّاً في الدنيا. وعليه فلا يمكن الظفر بالدنيا ولا الدين دون الصبر.[2]

---

١ . سورة الانفال، الآية ٦٥.

٢ . راجع كتاب علامات الصابرين في القرآن للدكتور يوسف القرضاوي للوقوف على ماهية الصبر ومنزلة الصبر والصابرين في القرآن وآفات الصبر وسائر ما يرتبط به من أبحاث.

٢٤

الإيمان والعمل توأمان

قال الإمام علي عليه السلام: «الإيمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لايفترقان».[١]

الشرح والتفسير

طرحت العديد من الأبحاث في الروايات بشأن علاقة الإيمان بالعمل، وتعلم أنّ التعليمات الاسلامية تقسم عادة إلى قسمين «أصول الدين وفروعه»؛ أي أنّ الدين أشبه بالشجرة ذات الفروع والجذور. فأصول الدين جذور الشجرة التي تمتص الماء والغذاء من الأرض وتوصله إلى الفروع، ولو جفت الجذور لجفت الفروع. وفروع الدين كتلك الفروع، ومن الواضح أنّ الشجرة ليست بشجرة دون الفروع ولن تدوم. وثمرة شجرة الدين المقامات المعنوية والأخلاق والقرب من الله. والصفات والخصائص الإنسانية ثمار هذه الشجرة. وهذه الشجرة مفيدة بهذه الأقسام الثلاثة ولا أثر لها دونها، أي أنّ أقسامها الثلاثة ضرورية. ولعل مسألة أصول وفروع الدين أخذت من هذه الشجرة التي ذكرت ووردت بصيغة مثال غاية الروعة في القرآن الكريم. ولئن كان العدو يتّجه في الماضي لفروع هذه الشجرة ويقتلعها، فقد استهدف اليوم جذور هذه الشجرة المثمرة، والغريب إنّه هبّ لقتال

---

١. غرر الحكم، ج ٢، ص ١٣٦، ح ٢٠٩٤. كما وردت مثل هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: راجع ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٠٦، الباب ٢٦٢، ح ١٢٨٩. كما ترى سائر الروايات بهذا المضمون في المصدر المذكور.

الدين بكل ما أوتي من قوة وإمكانات وأخطر سلاحه في هذه المعركة الاستعانة بذات الدين! حيث يروم القضاء على الدين من خلال التفاسير الخاطئة والمشبوهة. ومن هنا ينبغي الحيطة والحذر على جميع المسلمين وعدم خشية لومة لائم. واستناداً لهذه المقدمة يتضح معنى الرواية المذكورة في الحاجة الى الإيمان والعمل كهذه الشجرة وإن فصلا عن بعضهما فسوف لن يكون لهما ثمرة. هنالك مفهوم خاص للعبارة «توأمان» أي أنّهما يأبيان الانفصال وعليه فليس هنالك من معنى أن يكون الإنسان مؤمناً دون أن يندفع للعمل. فالإيمان الذي لا يستتبع العمل ينبغي الشك فيه! ولعل ذلك هو الذي جعل القرآن كلما تحدث عن الإيمان أردفه بالكلام عن العمل الصالح. أتى شخصى لم يكن يعرف علاقة الإيمان بالعمل إلى الإمام الصادق عليه السلام فسأله: «ألا تخبرني عن الإيمان، أقولٌ هو وعملٌ، أم قولٌ بلا عملٍ؟» فقال عليه السلام: «الإيمان عملٌ كلُّه» [1] لا أنّه فرع من العمل.

---

١. سفينة البحار، ج ١، ص ١٥٢.

٢٥

لمن المشورة؟

قال الإمام علي عليه السلام: «لا تُدخلنَّ في مَشورتك بخيلاً يَعدِلُ بك عن الفضلِ، ويَعدِكَ الفقرَ، ولا جباناً يُضعِّفك عن الأمور، ولا حريصاً يُزيِّن لك الشَرَه بالجوَرِ». [١]

الشرح والتفسير

المشورة من الوصايا الإسلامية المهمة التي لها صدى واسع في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، بحيث سمّيت بهذا الاسم إحدى السور القرآنية. فمشورة الأفراد من ذوي الخبرة لها دور في تقدم مشاريع الإنسان الصحيحة والبناءة وتختزن الكثير من الآثار والفوائد. ولكن بنفس المقدار الذي تلعبه المشورة مع الأفراد المعنيين في تطور المشاريع الصحيحة فإنّها تنطوي على أضرار كثيرة إن كانت مع الأفراد الذين يتّصفون بنقاط ضعف معينة وعادة ما تعطي نتيجة معكوسة، ومن هنا أكّد أمير المؤمنين عليه السلام على التحفظ من استشارة ثلاث طوائف سيما في الأمور الاجتماعية المهمّة وهي: البخلاء والجبناء والحريصون؛ فالبخيل يقبض يد الإنسان ليصده عن بذل نعم الله وهباته، والجبان يضعف الإرادة حتى لا يتجه صوب الأعمال المهمّة، والحريص يشجع الإنسان على الحرص والولع والتعدي على حقوق الاخرين [٢].

---

١ . نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

٢ . مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٨٧. راجع شرح الأبحاث المتعلقة بالمشورة ذيل الآية الشريفة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في التفسير الامثل، ج ٣، ص ١٤٢.

٢٦

البدعة والمبتدع

قال الإمام علي عليه السلام: «أمّا أهلُ البِدعة فالمخالفونَ لأمرِ اللهِ، ولكتابِهِ، ورسولِهِ، العاملونَ برأيهم وأهوائِهم وإن كَثُروا».[١]

الشرح والتفسير

البدعة قسمان:

١. تأتي أحياناً بمعنى التجديد في المسائل العلمية والصناعية والاجتماعية والذوقيه وما شابه ذلك. فالإنسان إن طرح قضية جديدة على أساس الذوق السليم وإرشاد العقل، فهذا أمر إيجابي وعادة ما يعبر عنه بالإبداع، ومن الواضح أنّ تطورالعلوم والصناعات البشرية في ظل هذا الابداع.

٢. المعنى الآخر للبدعة، تحريف أحكام الله أو إضافة شيء إليها؛ وهذا النوع من البدعة بدعة سلبية. وللأسف عادة ما يخلط بينهما حيث يتظاهرون بالبدعة الإيجابية لتطبيق البدعة السلبية، كأن يقال باسم الإبداع: «كان الوضوء في زمان لم تراع فيه الأمور الصحية بالشكل المطلوب ولم يكن الناس يغتسلون كما ينبغي، ومن هنا أوجب الإسلام الوضوء لرعاية الشؤون الصحية، أمّا الآن وقد اهتم الناس بالقضايا الصحية فلم يعد للوضوء من

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٨١، الباب ٣٢٩، ح ١٦٣٢.

ضرورة!». ومن هنا ينبغي الحذر حتى لا يلبس أصحاب البدع السلبية بدعهم ثوب الإيجابية. والآن بعد أن اتضح مفهوم البدعتين السلبية والإيجابية والحدّ الفاصل بينهما نعود إلى كلام أميرالمؤمنين عليه السلام. فقد قال عليه السلام في تفسير البدعة السلبية أنّ أهل البدع مخالفون لأوامر الله ولكتابه ولرسوله. فالبدعة التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام إنّما حيكت في عصر الخلفاء سيا الخليفة الثالث؛ حيث وضع بيت المال تحت تصرف قرابة الخليفة وأغدقت المناصب الحكومية على بطانته والتى كان ينبغي أن تمنح على أساس التقوى والعلم والكفاءة والتدبير. وكانت تلك أسوأ البدع التي تصدى لها الإمام الحسين عليه السلام. أضف إلى كل ذلك فقد خلق معاوية بدعة عظيمة أخرى فاستبدل الحكومة الإسلامية بالملوكية وأحيا جميع سنن وتقاليد الملوك واستخلف يزيد شارب الخمر وملاعب الطيور! فكانت هذه الأمور مخالفة لأوامر الله والقرآن الكريم وأهداف رسول الله صلى الله عليه وآله. فما خالف أمر الله وكتابه وسنة نبيّه فهو بدعة، سواء أسميناها قراءة جديده أم عرّفناها بالتجديد، أو اطلق عليها تفسير عصري.

دوافع البدعة:

خاض الإمام عليه السلام في العبارة التالية في دوافع المبتدعين ليخلص إلى أنّ أهم دوافع البدعة يكمن في الهوى. فاصحاب الأهواء من الأفراد الذين يرون الدين مانعاً لأهوائهم، ولكن حيث لا يسعهم مواجهة الدين بصورة مباشرة فيعرضون أهوائهم مغلفة بثوب الدين بصفتها قراءة جديدة فيصبحون من خلال تفسيرهم بالرأي بناة مختلف البدع. وقد استغل هذا السلاح في عهد الطاغوت، حيث كانوا يردون على الإشكالات والانتقادات قائلين: «إننا حفظنا روح الإسلام رغم عدم حفظ بعض قوالبه» وقد أجاب أحد وعاظ السلاطين حين سأله الشاه: هل ينسجم برنامجنا الفلاني مع الإسلام أم لا؟ قال: «نعم مادامت هناك الإرادة الملكية» مهما تريد سنطرحه كقراءة جديدة! ولو لم تواجه البدعة ويهبّ العلماء لتوعية الناس فليس لها من نتيجة سوى هدم الدين والمذهب؛ ذلك لأنّ كل عصر وزمان إن شهد بعض البدع سوف تتغير صورة الدين بعد مدّة بالمرة فيبدو الدين كظاهرة جديدة.

ولعل الروايات الواردة بشأن الحجّة ـ عجل الله تعالى فرجه ـ وتدل على أنّه يأتي بدين جديد إشارة إلى هذا الموضوع؛ أي أنّ الإسلام يشهد آنذاك حالة من البدع والضلال بحيث يبدو للناس أنّ الدين جديد بعد أن يطهره من تلك البدع والضلالات [١].

دعائم البدعة:

تقوم البدعة على أساس ضعف الإيمان. فإننا إن آمنا بأنّ الله العالم المطلق وأننا لانشكل قطرة من بحر أمامه وأن لا وجه للمقارنة بين علمه اللامتناهي وبين علمنا الضحل وقبلنا الإسلام بصفته آخر الأديان السماوية وأنّ رسول الله ﷺ معصوم فسوف لن نسمح لكائن من كان أن يتدخل ويتصرف في الأحكام الشرعية. لا ينبغي أن نكيّف الكتاب والسنّة مع آرائنا وعقائدنا ونظرياتنا ونتحرك قبلها، بل لابدّ أن نجعلهما إمامنا وننطلق من خلالهما ونكيّف عقائدنا على ضوئهما. ترى كيف يسلّم بعض أهل البدع لأوامر الطبيب وهو بشر مثلهم، بينما يتمردون على أوامر الله؟!

---

١. راجع الرواية المذكورة وشرحها في كتاب الحكومة العالمية للامام المهدي، ص ٣٢٠.

٢٧

أسمى نسب وأرفع شرف

قال الإمام علي عليه السلام: «المودةُ أشيك الأنساب والعلم أشرف الأحساب». [1]

الشرح والتفسير

متعارف لدى العرب أنّهم يعرضون «نسب» و«حسب» الشخص حين يريدون بيان شخصيته. والمراد من النسب أنّه إبن من ومن أيّ قبيلة؟ وأمّا الحسب فيعني لغوياً: المفاخر، غايته أنّ الشخص ربما يبين مفاخر أجداده أحياناً وأخرى مفاخره؛ مثلاً الكرم يعتبر حسباً وشرفاً للشخص الكريم وإن لم يكن أجداده كرماء. وقد رسم الإمام عليه السلام في هذه الرواية صورة واضحة للحسب والنسب فبيّن «أنّ أرسخ وأشدّ الأنساب الحبّ والمودّة». سئل أحدهم: تريد صديقاً حميماً أم أخاً، قال: أريد أخاً يصبح لي صديقاً حميماً، وهذا هو المطلب الذي أشير إليه في الرواية المذكورة. حقّاً إنّ الحبّ يفعل المعجزة، فالحبّ ربّما يهدىء روع أعدى الأعداء. وهو وسيلة عظيمة للموفقية في الدنيا والآخرة ورصيد ضخم للتبليغ وطرح الدين الإسلامي على جميع أبناء الدنيا.

ثم قال عليه السلام: إنّ أعظم ما يفخر به، العلم والمعرفة. وبالنظر إلى ذكر العلم بصورة مطلقة في الرواية فإنّه يشمل كل نوع علمي سوى العلوم المحرمة والمكروهة. والخلاصة هناك عاملان مهمان في النجاح: العلم والحب.

---

١. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٨٣ و ج ٧٤، ص ٤١٩.

أفضل الجهاد

قال الإمام علي عليه السلام: «لا فضيلةَ كالجهاد ولا جهادَ كمجاهدة الهوى».[1]

الشرح والتفسير

عدّ الإمام عليه السلام الجهاد في هذه الرواية رأس كل الفضائل؛ ذلك لأنّ شأنه أعظم بالنسبة لسائر العبادات والخوض فيه أصعب، وطبق ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن «أفضل الأعمال أحمزها»[2] وليست هنالك من فضيلة كفضيلة الجهاد في سبيل الله. ويمتاز جهاد النفس أصعب أنواع الجهاد ولذلك فهو أسمى، فأطلق عليه النبي صلى الله عليه وآله الجهاد الأكبر[3].

سؤال: أو يمكن أن يقاتل الإنسان نفسه؟ فالقتال عادة ثنائي، الإنسان من جانب والشخص الأجنبي من جانب آخر، فما معنى أن يجاهد الإنسان نفسه؟

الجواب: يتكون كيان الإنسان من عدّة أجزاء، بعبارة أخرى الإنسان لا يقتصر على بعد واحد، بل له عدّة أبعاد وهذه الأبعاد ليست متجانسة ومؤتلفة، لذلك قد تتضارب هذه الأبعاد الوجودية للإنسان مع بعضها وتشتبك مع بعضها؛ فالبعد الإنساني والملكوتي يواجه

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٦٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٩١ و ٢٣٧ و ج ٨٢، ص ٣٣٢.

٣. بحار الأنوار، ج ١٩، ص ١٨٢.

دائماً البعد الحيواني. نعم، فهوى النفس عدو باطن ويقظ دائماً استقر في القلب ورافق الإنسان في كل مكان ويوسوس له على الدوام ويدعوه لمختلف الآثام، ولا يمكن التغلب على هذا العدو الخطير والقاسي سوى بذكر الله والرقابة التامة لأنّه: **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[1].

---

١. سورة الرعد، الآية ٢٨.

٢٩

أكبر الذنوب

قال الإمام علي عليه السلام: «جهلُ المرءِ بعيوبهِ من أكبرِ ذنوبهِ».[١]

الشرح والتفسير

عادة ماتكون للذنوب التي يقارفها الإنسان جذور نفسانية؛ أي له خلق وطبع سبّب هذه الذنوب. مثلاً الشخص الذي يغتاب إنّما يرتكب ذلك لحسد في خُلُقه. أو الشخص الذي لا يتورع عن مال الحرام لأنّه ذائب في الدنيا وحريص وطويل الأمل فيتعلق بالدنيا. أو الشخص الذي يحقر الآخرين إنّما يرتكب هذه السيئة بسهولة لأنّه متكبر ومغرور. والحال لو تعرّف الإنسان على هذه الذنوب وأصلح جذوره النفسية لجفت لديه منابع الذنب. أمّا إن لم يلتفت إلى هذه المنابع واستغرق في معالجة الغصون فسوف لن ينجح.

ويتضح من هذا المطلب لم كان عدم معرفة جذور النفس من أكبر الذنوب.

سؤال: لم لا يلتفت الإنسان إلىٰ عيوبه؟ لم يلتفت الإنسان إلى شوكة في رجل غيره بينما يغفل عن حدبة على ظهره؟

الجواب: الإنسان محبّ لذاته وإن اشتد حبّ الذات غفلَ الإنسان عن رؤية عيوبه، بل يحسب عيوبه محاسن. كالفرد العاجز عن العمل والأنشطة الاقتصادية وكسل ويحسب

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

نفسه زاهداً! أو شخص فاحش وبذيء ويرى نفسه شجاعاً! وتجاوز حب الذات من أعقد المشاكل الأخلاقية وآخر عقبة كؤود في السلوك إلى الله والتي يقال لها في العرفان «الأنانية».

سؤال: ماذا نفعل لمواجهة هذه المشكلة؟

الجواب: هنيئاً لأولئك الذين يعرضون أنفسهم للانتقاد ويتعرفون من خلال ذلك على عيوبهم، وأما من لم يكن كذلك فعليه أن يقوم بهذين الفعلين على الأقل:

١. أن ينتخب بعض الأصدقاء الصاعاء ليكونوا له مرآة عاكسة لعيوبه ويكون مصداقاً للحديث «أحبّ إخواني إليَّ من أهدى عيوبي إليَّ»[1].

٢. أن يرى ما العيب في الآخرين فيسعى لاجتنابه؛ وهذا مثال بسيط: لو احتاج آنياً لمساعدة جاره ولم يساعده وذمه، فليحذر إن طلب منه جاره فليسارع لنجدته.

اللّهم وفقنا في مكافحتنا للأنانية وحبّ الذات المفرط.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٨٢.

أسوأ الأصحاب

قال الإمام علي عليه السلام: «شرُّ إخوانك من داهنك في نفسك وساترك عيوبك».[1]

الشرح والتفسير

الناس على نوعين في تعاملهم مع الحقائق والوقائع: قسم يسلم للحقائق ويقرّ بها مهما كانت مريرة ويعتبر بما حدث لإصلاح ذاته. أمّا النوع الثاني والذي ليس بالقليل للأسف يتنكر للحقائق ويهرب منها، والحال، الهروب من الواقعيات والتغطية على الحقائق لا يحل من مشكلة ولا يعتبر خدمة لأحد. ولهذا فإنّ الأصدقاء الذين يسعون بدلاً من النقد البنّاء إلى كتمان العيوب ويغطون على المعايب أو يبدونها حسنات فإنّهم لا يقدمون أدنى خدمة في عالم الصداقة فحسب، بل يرتكبون خيانة عظمى، وهي الخيانة التي قد يكون ثمنها حيثية وسعادة صديقهم.[2] وعلى هذا الأساس فإنّ الإسلام لا يأمر بالإبتعاد عن مثل هؤلاء الأصدقاء فحسب، بل يوصي بأنّ الإنسان المؤمن مرآة أخيه المؤمن.[3] يعكس جميع الحقائق دون نقص لإخوته المؤمنين ليسعىٰ من خلالها للإصلاح ورفع تلك العيوب.

---

١ . غررالحكم، ج ٤، ص ١٧٣، ح ٥٧٢٥.

٢ . مئة وخمسون درسا من الحياة، ص ٣٠.

٣ . بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٤.

٣١

كن معنا بهذا الطريق

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل لا تأخذ إلّا عنّا تكن مِنّا».[١]

الشرح والتفسير

إستسهل البعض جدا مسألة الولاية ويعتقدون أنّ من بكى على الأئمّة الأطهار عليهم السلام ولطم عليهم صدره وأقام مراسم العزاء ولم يترك توسلاتهم فهو من أصحاب الولاية؛ أي يرون ذلك كافياً بل يتصور البعض أنّه يمكن الجمع بين الولاية والمعصية والتمرد!

طبعاً للولاية مراحل مختلفة وإحدى مراحلها التوجه والتوسل وحضور مراسم عزائهم عليهم السلام؛ لكن ممّا لا شك فيه أنّ هذا لا يكفي والولاية التامة والحقيقية أن نبرمج جميع شؤون حياتنا طبق تعاليمهم ووصاياهم ونراهم حاضرين في جميع مفردات حياتنا وننفتح عن طريقهم على المعارف الإسلامية الحقه. فقد أصبح سلمان من أهل البيت[٢].

حيث كان يقتفي آثارهم في كل شيء ولم يفكر سوى في أهل البيت. والنقطة التي تقابل هذا التفكير الصحيح والولائي الأصيل، الأمور الآتية:

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٢.

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وآله كراراً: «سلمان مِنّا أهل البيت» ونقلها المرحوم العلّامة المجلسي في مختلف أجزاء بحار الأنوار حيث وردت فقط في ج ٢٢، ص ٣٢٦ و ٣٣٠ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٥.

١. أن يلوذ الإنسان بخيالاته وأوهامه وظنونه فيكيف نفسه معها ويطوي بها مسيرته!

٢. أن لا يقتصر في الركون إلى عقله وفكره، بل يقبل على القرآن والسنّة، لكن لا يكون تلميذهما ويتحرك إثرهما بل يرى نفسه أستاذهما؛ أي يقرر أولاً ثم يكيف عليه الآيات والروايات. يحمل الدين والقرآن آراءه ويطرح تفاسير خاطئة لآيات القرآن وبالتالي يلجأ إلى التفسير بالرأي أو ما يصطلح عليه بـ«القراءة الجديدة».

٣. أن يستفيد من عقله وفكره ويتتلمذ على القرآن والسنّة، لكنّه يبتدع ويضيف إلى الدين ماليس فيه من أمور خارجة عنه ويصنع خليطا من الدين وغير الدين كدين لله، وبعبارة أخرى يصاب بالالتقاط.

إلهي!! وفّقنا لاجتناب هذه السبل الخطيرة الثلاثة ووفّقنا لنيل جميع المعارف الإسلامية من النبي الأكرمﷺ وأئمة أهل البيتعليهم السلام وحقيقة الولاية.

٣٢

أفضل الأعمال

عن أميرالمؤمنين﴿ع﴾: «علم أصحابه في مجلس واحد أربعمائة بـاب مـما يصلح للمؤمن في دينه ودنياه... قال: انتظروا الفرج ولاتيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج».[١]

الشرح والتفسير

ما المراد من كلمة «الفرج»؟

يوجد هنا احتمالان: ١. الألف واللام في الفرج للجنس، أي أرجوا الأمل في حل المشاكل دائماً في المصائب والصعاب ولاتيأسوا قط من رحمةالله؛ لأنّ رحمة الله مطلقة ولا متناهية. فالدنيا لاتخلو من المطبات ولمختلف الأمم العديد من المعضلات والتعقيدات، وأحـياناً يضيّق الشياطين والطواغيت على الناس فيضعف عسكر الإيمان بحيث تشتد هذه المصائب أحياناً، إلّا أنّ المؤمنين لا ييأسون قط من رحمة الله. عـلى سـبيل المـثال، إشـتد الضـيق بالمسلمين في معركة الأحزاب والذي عبّر عنه القرآن ﴿بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[٢] والذي نعبّر عنه «بلغ السيلُ الزُبى» مع ذلك كان المسلمون يأملون بانفراج الموقف ورفع المشاكل

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٩٦.

٢. سورة الأحزاب، الآية ١٠.

وانتظار الفرج وقد أثمر ذلك الانتظار وقد قضى الله علىٰ الكفّار بتلك الريح. وعليه فإن طرأت بعض الصعوبات على المجتمع، الحوزات العلمية، الثورة، الشبّان، الحكومة الإسلامية ونواميس المسلمين فلا ينبغي أن نيأس من رحمة الحق، فرحمته عامة وتشمل من لم يعرفه ويتوسل به[1] فكيف لا تشملنا؟!

٢. لهذه المفردة معنى معهود، أي انتظروا الفرج الخاص الذي ينتظره جميع المسلمين والشيعة، بعبارة أخرى أنّ هذه الرواية توصينا أن ننتظر نهضة الإمام المهديعليه السلام. وحسب الاحتمال الثاني معنى العبارة «أحبّ الأعمال» أن انتظار الفرج أفضل من الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتالي جميع الأعمال كانتظار الفرج[2].

سؤال: إنتظار الفرج حالة باطنية فيمكن أن يزعم الجميع أنّهم منتظرون، فهل هذه الحالة الباطنية التي لا مشقّة فيها تكون أفضل الأعمال؟ وأفضل حتى من الجهاد بكل ويلاته وتعريضه حياة الإنسان للخطر؟ وهل هذا الإنسان كذاك الذي يهب دمه في سبيل الله؟

الجواب: الانتظار على أنواع:

١. الانتظار الكاذب الخالي من أيّ استعداد يقتصر على حركة اللسان.

٢. الانتظار الحق الممزوج بالتأهب وهذا له درجات على غرار حالة التأهب للجهاد، حيث يكون هذا التأهب بنسبة ٥٠٪ وربما ٧٠٪ وأخرى ١٠٠٪ ولبعض المنتظرين تأهب ناقص ولآخرين كامل نسبياً، بينما هنالك طائفة ذات تأهب تام ١٠٠٪، فأي من هؤلاء مشمول بأحب الأعمال؟ لا شك إنّما يبلغ هذه الدرجة ذوو التأهب التام وليس كل من يدّعي الانتظار. أو يمكن أن ننتظر ضيفاً عزيزاً ورفيعاً ولا نوفر أدنى أسباب ووسائل الإستقبال؟ لو ادّعى شخص هذا الانتظار ولم يستعد له لشك الناس في عقله! من جانب آخر للإنتظار عدة صور، فهنالك فارق بين من ينتظر ضيفاً وآخر ينتظر مائة ضيف، وانتظار شخص عادي يختلف جذرياً عن انتظار إمام هو أفضل من على الأرض ويظهر

---

١. ورد هنا المطلب في دعاء شهر رجب المستحب بعد الصلوات الواجبة والمستحبة.

٢. ورد هذا المضمون في سائر الروايات، ففي بعض الروايات «أفضل أعمال أمتي» وبعضها الاخر «أفضل العبادة» وفي روايات «أفضل عبادة المؤمن». راجع شرح هذه الروايات في ميزان الحكمة، الباب ٢۴٠.

لإقامة الحكومة العالمية ويبسط العدل والقسط. ولو تأملنا صور الانتظار لاعترفنا بأنّ هذا الانتظار هو أكبر وأروع وأسمى انتظار طيلة التاريخ البشري لكن المهم هل تشير أعمالنا لهذا الانتظار؟ علينا أن نعين منذ الآن موقعنا في حكومة المهديعليه السلام العالمية! هل سنكون من الأفراد في الخطوط الأمامية؟ أي نكون على قدر من الشجاعة والقوة. والورع والتقوى والعلم والإيمان والصمود لنكون من أوائل المجاهدين؟ أم سنكون خلف الجبهة ونقدم العون للمقاتلين؟ أم سوف لن نكون في الخط الامامي ولا خلف الجبهة؟ بل يكون تفكيرنا محصوراً بدنيانا فقط؟ أو نعوذ بالله نقف لمواجهة إمام الزمان في الجبهة المقابلة؟

عجبا! إنّ من يدّعى انتظار المنتظر يقف الآن في الطرف المقابل ويقتل بسيف الإمام! مثل هذا الإنسان في الواقع إنّما يقرأ مايعجل في موته بقراءته لدعاء تعجيل الفرج؟! وعلى ضوء هذه التوضيحات يمكن للانتظار الواقعي أن يكون مدرسة وجامعة لتهذيب النفس.

٣٣

خير رفيق

قال الإمام علي‌ﷺ: «حُسنُ الخُلقِ خَيرُ رَفِيقٍ» وقال أيضاً: «ربّ عزيزٍ أذلّه خُلقُه وذليلٍ أعزّه خُلُقه».[١]

الشرح والتفسير

حياة الإنسان حياة جماعية ولذلك لا يسعه العيش وحيداً، لأنّه يتخلف في هذه الحالة عن كل شيء. ومن الواضح أنّ الحياة الجماعية والاجتماعية بحاجة إلى رفيق وصديق، ليواكب الإنسان ويعينه في المصاب والبلاء والسراء والضراء. والحياة دون رفيق مريرة وشاقة تؤدي إلى عذاب الروح البشرية، ومن هنا كان السجن الإنفرادي أقسى عذاب للإنسان السجين. وحسب هذه الرواية فإنّ خير رفيق للإنسان حسن خلقه. فالأخلاق الحسنة تجذب الآخرين إليه وبذلك يزداد أصدقاؤه، فالشخص الحسن الخلق يسارع جميع الناس لرفقته. فربما يتحلى شخص بجميع مواطن القوة كالمال والمقام والشخصية والتحصيلات العالية والأُسرة العريقة والمتدينة والعقائد الراسخة والعميقة وما شابه ذلك لكنّه يفتقد الأخلاق الحسنة، فمثل هذا الإنسان يصبح ذليلاً. وبالعكس لعلّ شخصاً لا يمتلك أيّاً من الأمور المذكورة لكنّه حسن الخلق، فما لا شك فيه أنّ هذا الشخص عزيز عند

---

١ . سفينة البحار، ج ٢، ص ٦٧٨.

الجميع ينظرون إليه باحترام. والرواية المذكورة إشارة إلى هذا الموضوع ومعناها أنّ حسن الخلق غطاء على جميع المساوىء والعيوب ونقاط الضعف، كما أنّ سوء الخلق يلغي ويغطي على جميع المحاسن وأمور الإنسان الإيجابية. وقد جاء التأكيد في الآيات والروايات على مسألة الأخلاق لتأثيرها البالغ في إدارة وزعامة المجتمع. ولاسيما أهل العلم الذين ينبغي أن يركزوا على هذه المسألة، فيردوا بمرونه على الإساءات الخلقية والإهانات حتى لا يتهموا بالعنف والغلظة.

٣٤

خيرالزاد

قال الإمام علي عليه السلام: «لا خيرَ في شيء من أزوادها إلّا التقوى».[١]

الشرح والتفسير

لما عاد عليه السلام من صفين وبلغ الكوفة وقف على القبور وجعل يخاطب أرواح الموتى بالحديث عن حوادث وأخبار الدنيا، ثم طالبها عليه السلام بأن تتحدث له وصحبه عن حوادث وأخبار عالم الآخرة ثم واصل عليه السلام كلامه ليشق ذهول من رافقه فقال: «أمّا لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير زاد التقوى»[٢]. والواقع أنّ الروايتين المذكورتين وسائر الروايات المشابهة اقتباس من الآية الشريفة: ﴿**تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾.[٣] فالزاد كان أمر غاية في الأهمية في الأسفار القديمة، خلافاً لما عليه اليوم حيث ليست له تلك الأهميّة. فكان المسافر في السابق عندما يسافر من قرية إلى أخرى ومنطقة لأخرى يعدّ بعض لوازم السفر والمواد الغذائية التي يعبّر عنها بالزاد والمتاع. ولابدّ أن يكون هذا الزاد: ١. قليل الحجم ٢. لايتعرض للفساد.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١١١.

٢. نهج البلاغة، قصارالكلمات ١٢٠.

٣. سورة البقرة، الآية ١٩٧.

وقد شُبّهت الدنيا في الآية الشريفة السابقة والروايتين المذكورتين بمنزل يقصده المسافرون ليقيموا فيه مدة قصيرة ويأخذوا منه زاداً ومتاعاً ويواصلون حركتهم. ثم وصف التقوى على أنّها أفضل الزاد والمتاع الجامع للصفات الثلاث المذكورة. حقاً إنّ التقوى تزيّن كل موضع وإلّا كان خراباً. طبعاً وجود الشرطة وممانعة الناس ضرورية لعدم ارتكاب المخالفة لكنها ليست كافية، والشيء العملي وجود الشرطة الذاتية والتقوى الإلهيّة. فتقوى المقاتلين هي التي تقف وراء انتصار الشعب الإيراني المسلم الذي خرج مرفوع الرأس بعد ثمان سنوات من الحرب المفروضة والاستنزافية غير المتكافئة وضاعفت شموخ الإسلام لدى العالم، فلا ينبغي أن نغفل عن هذه الخاصية العظيمة. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الآية الشريفة: **﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [1] فقال عليه السلام: «القلب السليم القلب الذي ليس فيه سوى الله» [2] وثمرة عدم وجود ماسوى الله هي التقوى؛ أجل التقوى ثمرة القلب السليم.

---

١. سورة الشعراء، الآية ٨٨ ـ ٨٩.

٢. التفسير الأمثل، ج ١٥، ص ٢٧٤.

٣٥

أفضل طريق للعبودية

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل إنّ أحبّ ما امتثله العباد إلى الله بعد الإقرار به وبأوليائه، التعفف والتحمّل والإصطبار». [1]

الشرح والتفسير

١. ما التعفف؟ للتعفف معنى خاص ومعنى عام: المعنى الخاص هو العفة عن الزنى، كما عبّر القرآن الكريم: **﴿الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾** [2]. وهو ذات الشيء الذي دفع يوسف عليه السلام ثمنه باهضاً لحفظه. وأمّا معناه العام فطلق الورع والزهد وعدم الإغترار بالحرام بالنسبة للمال والمقام وجميع إغراءات الحياة. فالتعفف حسب هذا التفسير هو الإغماض عن الحرام في جميع المجالات. والعفة بالمعنى الواسع لهذه الكلمة علامة شخصية الإنسان وإيمانه.

٢. ما المراد من التحمل؟ لا شك في أنّ لحياة كل إنسان بعض الصعوبات فهناك المصاعب التي تكتنف الدراسة ومخالطة الناس والحصول على الرزق الحلال وعبودية الله والصدق والعفة والسير والسلوك إلى الله وبالتالي جميع الأنشطة والفعاليات والتي ينبغي تحملها وعدم الانحناء لها. وعلينا أن نعتبر في تحمل الصعاب كسائر الأمور ـ برسول الله صلى الله عليه وآله ـ فحين

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٤.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٥.

كسر العدو رباعيته وشجّ جبهته لم ييأس، بل تغلب على تلك الصعاب حتى في تلك الحالة ولم يكفّ عن هداية الناس داعياً لهم «اللّهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون»[١] فتبيلغ الدين وارشاد الناس يتطلب تحمل؛ تحمل الدعة والمشقّة.

٣. ما الإصطبار؟ الإصطبار من مادة صبر. والفارق بين الصبر والتحمل أنّ للصبر جانباً إيجابياً بينما للتحمل بعد سلبي.

قال الإمام علي عليه السلام: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا»[٢] حقاً إنّ مثل الصبر الإمام خمساً وعشرين سنة أمر في غاية الصعوبة. ونحن أيضاً علينا أن نتحلى بالصبر والتحمل لنواصل ثورتنا الإسلامية للأجيال القادمة. وإنّ العفة والتغاضي عن الحرمات وتحمل المشاكل والصعوبات والصبر وضبط النفس من العناصر الفاعلة في حفظ وديمومة الثورة الإسلامية.

---

١ . بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٢١.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٣٦

الوصايا الخمس لحياة أفضل

قال الإمام علي‌عليه السلام: «يا كميل قُلِ الحقّ على كل حال ووادّ المتقين واهـجر الفاسقين وجانب المنافقين ولاتصاحب الخائنين».[١]

الشرح والتفسير

أوصى الإمام علي‌عليه السلام كميل الذي يعدّ من خلّص صحبه بخمس وصـايا طـبق هـذه الرواية لنيل أفضل الحياة:

الوصية الأُولى: يا كميل قل الحقّ على كل حال وتعصب له طيلة حياتك، سواء في السراء أم الضراء وحين تكون مقتدراً أو فاقداً للقدرة، وسواء كنت متربعا على السلطة أم على الأرض والخلاصة قل الحقّ طيلة حياتك على الأرض في هذه الدنيا، ثم أوصاه‌عليه السلام بمن يقرب منه ويبتعد عنه في حياته.

الوصية الثانية: رافق المتقين واحبّهم، لأنّ الصديق المتقي حيث يـصادقك لرضى الله فإنّه لا يتخلى عنك في المشاكل والصعاب، ومن هنا فلا يشجعك على المعصية ولهذا لا يحول دون طاعتك وعبادتك. نعم احفظ في خزانة قلبك دائماً مودّة المتقين. ثم أمر كميل بالتحفظ

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٣.

عن ثلاث فئات:

الوصية الثالثة: اهجر الفاسقين، فالفسقة يلوثونك وأهلك بالمعاصي، إذن أقصهم من حياتك واقطع علاقتك بهم صوناً لنفسك وأهلك.

الوصية الرابعة: احذر يا كميل مصاحبة المنافقين. إنّما أوصى الإمام عليه السلام بالهجران بشأن الفاسقين والمجانبة حذراً بالنسبة للمنافقين، كون كل مجتمع لا يخلو من المنافقين ولا يمكن فصلهم ولا يمكن التعرف عليهم بسهولة. واعظم صفعة تلقاها المسلمون من المنافقين ومن هنا لابدّ من مراقبة مكرهم وحيلهم والحذار منها وإن تعذر تطهير المجتمع منهم.

الوصية الخامسة: يا كميل لا تصاحب الخائنين، فليس للإنسان الخائن جدارة الصداقة والرفقة لأنّه عديم الوفاء. لو تمعن في هذا الكلام واصبح عملياً في المجتمع لشهد قطعا حالة من التحول والتغيير؛ ذلك لأنّ كل مجتمع يعاني من الخيانة والنفاق والمعصية وكتمان الحق ويحتاج إلى التقوى والطهر وبيان الحقائق والأفراد الورعين. فلو طهرنا مجتمعنا من هذه الصفات القبيحه والرذائل وزيناه بالصفات الحميدة لأصبح بلاشك مجتمعاً نموذجياً.

٣٧

نتيجة طول الأمل

قال الإمام علي عليه السلام: «أطول الناس أملاً أسوأهم عملاً».[١]

الشرح والتفسير

ربط الإمام عليه السلام بين طول الأمل والأعمال السيئة فبيّن أنّ طول الأمل ليس سيئا فحسب، بل كلما كان الأمل أطول كانت الأعمال التي تصدر من الإنسان أسوأ. وقد طرحت عدّة طروحات وعدّة مباحث بشأن طول الأمل[٢] ونكتفي هنا بطرح سؤالين والاجابة عنهما:

سؤال: هنالك تعارض في الروايات التي تتناول طول الأمل، فمن جانب بعض الروايات ومنها هذه الرواية تعتبر الأمل أمراً سلبياً ولا قيمة له وتحذر الناس منه، ومن جانب آخر نعلم أنّه لولا الأمل لا نتهت الحياة؛ ذلك لأنّ الإنسان يحيى بالأمل. ومن هنا جاء في الحديث النبوي الشريف: «الأمل رحمة لأمتي» وجاء في هذا الحديث: «لولا الأمل لما أرضعت أم ولدها ولما زرع الفلاح»[٣]، واستناداً لهذا فهل الأمل محمود أم لا؟

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٤٤، الباب ١١٧، ح ٧٢٠.
٢. راجع شرح هذه الأبحاث في الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ١٧٧.
٣. ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٤٠، الباب ١١٣، ح ٦٧٣.

الجواب: الأمل ضمن حدود معينة و معقولة محمود وهذا هو ما عبّر عنه بالرحمة وأساس مواصلة الحياة؛ أمّا طول الأمل وخروجه عن المعقول، الأمل الذي يستحوذ على ذهن الإنسان، الأمل الذي يبعده عن سعادته، فلا شك في أنّ هذا الأمل ليس بمطلوب وهذا ما أشارت إليه الرواية المذكورة.

سؤال آخر: لِمَ يؤثر طول الأمل سلبياً على أعمال الإنسان؟

الجواب: لأنّه يغفل الإنسان عن الموت والحساب ومحكمة العدل الإلهي، والإنسان لا يسلم إن غفل عن عالم الآخرة. أضف إلى ذلك فإنّ الإنسان إن وظّف فكره واستعداده وطاقاته المحدودة باتجاه تحقق الآمال الطوال فسوف لن يكون لديه القدرة على الإتيان بالأعمال الصالحة. جاء في الحديث النبوي الشريف: «والذي نفس محمّد بيده ما طرفت عيناي إلّا ظننت أن شقراي لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي»[١]. وأقل وحدة زمانية في مقاساتنا طرفة العين، وليست هنالك من ضمانة ولو طرفة عين في مواصلتنا لحياتنا. وعليه لابدّ أن نقصر الأمل ونفكر في إعداد الزاد والمتاع لعالم الآخرة محطتنا الأصلية. والإنسان الذي يوقن بأنّه مفارق أصحابه (بالموت) ويوارى (بالتالي) التراب ويواجه الحساب (والكتاب الالهي يوم المعاد) ولا يحتاج ما جمعه في الدنيا سوى ما قدم لآخرته فالأولى به أن يقصر أمله ويبادر للعمل[٢].

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ١٤٥، الباب ١١٨، ح ٧٢٩.

٢. المصدر السابق، ح ٧٢٤.

إستقامة اللسان

قال الإمام علي عليه السلام: «ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».[1]

الشرح والتفسير

هنالك سبيلان لخلق وترسيخ الإيمان: الأول: العقل والبرهان. والآخر: الشهود والباطن. ولا يتسنى هذا الإيمان من هذين السبيلين دون إصلاح القلب. فإن أردنا الولوج من سبيل البرهان فإنّ هناك موانع إن قضينا عليها وفقنا بهذا الخصوص. فالشيطان مع ماله من ذكاء غفل عن مطلب واضح وقال حين سئل عن سبب عدم سجوده لآدم أسوة بسائر الملائكة: **﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾**[2] والحال لم تكن عظمة آدم بجسمه، بل لروح الله التي نفخت فيه. إلّا أنّ الشيطان لم يلتفت لهذا الأمر، حيث كانت لديه عقبة تمنعه من المعرفة هي التكبر وحبّ الذات. وعليه فالإنسان العابد الهوى لا يمكنه عبادة الله من خلال البرهان. والنتيجة إن أردنا الإيمان عن طريق البرهان لابدّ من إصلاح القلب. وأمّا إن اريد بلوغه عن طريق الشهود والباطن؛ الطريق الذي سلكه

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٢. سورة الحجر، الآية ٣٣.

علي عليه السلام: «ما كنت أعبد ربّا لم أره»[١] فمن الواضح أنّه يحتاج إلى قلب مستقيم وطاهر. لابدّ من نفض غبار القلب ليتسنى رؤية الحبيب.

القلب واللسان:

لم يكن علماء الأخلاق آنذاك حين تلا علي عليه السلام هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لكنهم يقولون الآن إنّ أعظم وأغلب الذنوب بواسطة اللسان. وقد ذهب بعض علماء الأخلاق إلى أنّ عدد الكبائر أكثر من عشرين، بينما أحصينا ٣٠ كبيرة في كتابنا الأخلاق في القرآن[٢] وهي الذنوب التي اعتبرها البعض أشد من الزنا.[٣]

أيّها القراء الأعزاء! لا يبلغ الإنسان شيئاً ما لم يستقم اللسان. ذلك لأنّ اللسان أداة ووسيلة لدى الإنسان على الدوام؛ أمّا سائر وسائل الذنب فليست حاضرة دائماً للإنسان. والأسوأ من ذلك ما يؤسف له أن قبح ذنوب اللسان قلّلت وأزيلت في بعض المواقع. فلو فرش أحدهم والعياذ بالله بساط قمار في مسجد لاعترض عليه الجميع، أمّا إن اغتاب أحداً وهذا أسوأ من القمار، قَلَّ من يعترض عليه. وعليه لابدّ أن نراقب ألسنتنا سيما حين الغضب والحسد وبروز المصاعب والمصائب، فإصلاح اللسان إحدى خطوات السير والسلوك ومقدمة لإصلاح القلب.

---

١. اصول الكافي، ج ١، ص ٩٨، كتاب التوحيد، باب في ابطال الرؤية.

٢. راجع الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ٣١٦.

٣. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغيبة أشد من الزنا» ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣٣٣.

٣٩

التعليم والتعلم الإلزامي

قال الإمام علي عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا».[1]

الشرح والتفسير

هنالك مشروعان مهمّان في الإسلام يضمن تطبيقهما سلامة المجتمع وسعادة الناس في الدنيا والآخرة في جميع مجالات الحياة وهما:

١. إرشاد الجهّال ٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واختلافهما أنّ الشخص في الأول يرتكب مخالفة ولا يدري بذلك فالجهل يدفعه للقيام ببعض الأعمال المخالفة، لكنّه في الثاني يرتكب المخالفة والمنكر عالماً أو يكف عن الإتيان بالمعروف. لا شك في أنّ لتطبيق هذين الركنين الأساسيين والمهمّين والذين يعدّان من وظائف الأنبياء والأولياء، بل حسب اعتبار وظائف الله، آثار وفوائد عظيمة. ويبث الروح في حياة المجتمع. ولا ينبغي أن يغفل المبلغون الدينيون والأفراد الناشطون في إرشاد المجتمع عن أيّ من هذين المشروعين ويقومون بكل منهما حسب الظروف المتاحة. والنقطة المهمّة التي تستفاد من الحديث المذكور أنّ العلماء مسؤولون بذات المقدار المسؤول فيه الجهّال عن

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٧٨.

أعمالهم وضرورة الاندفاع نحو تعلم العلم، بل لعلّ مسؤوليتهم أعظم. ومن هنا أخذ الله عهد الجهّال بالتعلم والعلماء بالتعليم.

٤٠

تفسير آخر للتقوى

قال الإمام علي عليه السلام في رسالة وجهها لمعاوية:

«فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر».[1]

الشرح والتفسير

يستفاد من هذه العبارات تفسير آخر للتقوى وهو أنّ التقوى أن لا يسلس الإنسان قياده للشيطان وعدم التقوى تعويض زمام اختيار الإنسان للشيطان. ولمزيد من التوضيح لابدّ من الالتفات إلى أنّ الناس من هذه النظرة ثلاث طوائف:

١. الطائفة التي يئس الشيطان من إضلالها والتحكم بأمورها، وبالطبع فإنّ هذه الطائفة عدّة معدودة باسم «المخلصين» الذين قال فيهم القرآن على لسان الشيطان: ﴿**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[2]. كما أمّن الله تعالى هؤلاء فقال: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[3]. وهذه الطائفة من عبادالله عبارة عن المعصومين عليهم السلام وأولياء

---

١. نهج البلاغة، الرسالة ٥٥.

٢. سورة الحجر، الآية ٤٠ ـ ٤١.

٣. سورة الحجر، الآية ٤٢.

الله حيث قضى هؤلاء على عناصر وجذور الفساد في باطنهم، ومن هنا لم يكن للشيطان من سبيل إليهم.

٢. الطائفة الخاضعة تماماً للشيطان حتى أنّها لتقتفي آثاره أحياناً دون دعوته! ولا حاجة لتوضيح وضع هذه الطائفة.

٣. الطائفة الثالثة التي ليست تابعة مطلقاً لله تعالى ولا مسلّمة محضاً للشيطان، بل تطيع أمرالله تارة وتخدع بالشيطان وتطيعه تارة أخرى. قال الله تعالى في الآية ٢٠ من سورة الأعراف بشأن هذه الطائفة التي ليست قليلة: «**إنَّ الَّذينَ اتّقَوا إذا مَسَّهُم طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّروا فإذا هُمْ مُبصِرُونَ**». فالشيطان يطوف حول قلب الإنسان علّه يظفر ببوابة للدخول، بوابة المال والمقام والشهوة والمرأة والولد والمدح الكاذب وما شابه ذلك. ولابدّ أن نكون على الأقل ضمن هذه الطائفة لنتمكن من الإبصار عن طريق ذكر الله ونهرب من الشيطان كهروبنا من سارق الأموال فإن غفلنا سرق الشيطان مصادرنا.

إلهي! وفّقنا للسير بغية بلوغ طائفة المخلصين.

٤١

تقديم السراج

قال الإمام علي عليه السلام: «ما تُقدّم مِنْ خَيرٍ يَبقَ لَكَ ذُخرُهُ، وَمَا تُؤخرُهُ يَكُنْ لِغَيرِكَ خَيرُهُ».[١]

الشرح والتفسير

استفحل اليوم جنون الثروة أكثر ممّا مضى دون أن يحسبوا ويسألوا أنفسهم ما الهدف الأصلي وفلسفة هذه الثروة؟ أوَلا يدرك أولئك الذين يجمعون الثروة بشكل جنوني دون أدنى اكتراث لسبل جمعها من حيث الحلال والحرام والظلم والعدالة، أنّهم لا يستطيعون حمل كل هذه الثروة معهم إلى قبورهم؟! أوَلا يعتقدون بأنّ جمع كل هذه الثروة ووداعها وبقاء مسؤوليتها ليس بعمل عقلائي؟[٢] لعل التفكير والتمعن في مضمون هذه الرواية يمكنه أن يغير مسار حياة الجميع ولا سيا الأغنياء والأثرياء. انتبه لهذه القصة: دُعي ثري لضيافة، ولما انطلق نحو المكان برفقة غلامه، وكان الغلام يحمل بيده سراجاً لإضاءة الظلمة، كان يتحرك خلفه عامداً. فسأله الثري: ما فائدة السراج الذي يُضيء خلفي؟ تقدم لأستفيد من سراجك. قال الغلام الذي كان يعرف بذكائه وعلمه بوقائع الأمور ضمن تأييده لما ذكره:

---

١. نهج البلاغة، الرسالة ٦٩.

٢. مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ١٧٠.

سيدي اشاطرك هذه العقيدة فالخيرات والمبرات التي تحصل بعد موت الإنسان كهذا السراج خلفك ليست لها من آثار تذكر، ولابدّ من سراج في الأمام لعالم الآخرة. أخذ هذا الكلام مأخذه من الثري والذي قاله ذلك الغلام وفي ذلك الوقت المناسب بحيث أوقف أغلب أملاكه للأمور الخيرية، حتىٰ قيل إنّ موقوفاته في مشهد تأتي بعد موقوفات مرقد الإمام الرضا عليه السلام.

٤٢

حصيلة اقتران الكسل بالعجز

قال الإمام علي‎عليه السلام: «إنّ الأشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل بـالعجز فـنتج منهما الفقر».[١]

الشرح والتفسير

رائعة هي العبارة الواردة في هذه الرواية، حيث بيّن‎عليه السلام طبق هذه الرواية أنّ مختلف الأشياء ازدوجت واقترنت مع بعضها في بداية الخلقة، فـازدوج كـل شيء بمـا يـناسبه وأخذت السنخية والتناسب بنظر الاعتبار، فكان الكسل كفؤ وصنو العجز فازدوجا وكان حاصل ازدواجهما الفقر. فقد بيّن في هذه الرواية عاملان وعنصران مـهمّان للـفقر يمكـن اجتنابهما: العامل الأول، الكسل؛ وممّا لا شك فيه أنّ الكسل سبيل يؤدّي إلى الفقر. والعامل الثاني العجز وهو على نوعين:

أ) العجز الطبيعي كأن يولد الشخص أعمى.

ب) العجز الكاذب وهو كثير. فالقوّة الحقيقية لكـل إنسـان عـشرة أضـعاف قـوته المستعملة. ويمكن لمس هذا الزعم عملياً حين الغضب. ولو زال العجز عن المجتمع، العـجز الذي يؤدّي إثر تلقين النفس إلى التقوقع والضعف والخمول ويـثق أبـناء المجـتمع بأنهـم

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٥٩.

قادرون، فمّا لا شك فيه سيحدث انقلاباً عجيباً في المجتمع وسيكون جميع أبناء المجتمع فاعلون وناشطون. وللفقر والعجز آثار سيئة جمّة، تقضي على دين الإنسان وإيمانه وموقعه، وتهز ركائز العزّة والاستقلال وتجعل الإنسان تابعاً. فقد أبدت إيران على عهد الشاه سلطان حسين درجة من الضعف بحيث سيطر عليها الأفغان ونهبوا خيراتها. ولكن نفس هذا الشعب الضعيف والعاجز حين خضع لإمرة نادر شاه وتجاوز ضعفه وعجزه نجح في تطهير بلده من دنس الأجانب وطردهم من أرضه. كما كان الشعب الإيراني ضعيفاً وذليلاً قبل الثورة، إلّا أنّ طاقات هذا الشعب تحرّكت بنهضة الإمام الخميني‌ﷺ لتوجه صفعتها الموجعة لصرح الطاغوت.

كما تمكن النبي الأكرمﷺ خلال مدّة قصيرة من فتح أغلب بلدان العالم بأولئك العرب البدائيين في عصر الجاهلية والذي يسود مجتمعهم مختلف صنوف الذل والهوان! وقد خسر اليابانيون كل وجودهم في الحرب العالمية الثانية، لكنهم حفظوا إرادتهم وجهدهم فكافحوا بكل نشاط حتى سيطروا على الجانب الأعظم ـ في الوقت الحاضر ـ من الأسواق العالمية. فالأفراد الناجحون يباشرون نشاطهم قبل شروق الشمس ولا ينامون كثيراً وليس لهم من تعطيلات طويلة وأساس نظامهم على السعي والعمل وعدم التعطيل. جاء في الرواية أنّ العطسة من الرحمن والتثاؤب من الشيطان.[1] وفلسفة ذلك أن الإنسان يشعر بالحيوية بعد العطسة ويستعد للنشاط، لكن التثاؤب يرمز إلى الكسل والدعة والرغبة بالنوم. والنقطة الأخيرة أنّ الفقر في هذه الروايات لا يقتصر على الفقر الاقتصادي، بل يشمل الفقر العلمي. فالفرد الكسول والعاجز لا يبلغ شيئاً في مسيرة العلم.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٥٢.

٤٣

حساب النفس

قال الإمام علي‌عليه‌السلام: «مَن حاسبَ نفسَه رَبِحَ، ومَن غَفَل عنها خَسِرَ».[١]

الشرح والتفسير

حضيت المحاسبة بتأكيد شديد في الروايات الإسلامية والتي لا ينفك علماء السير والسلوك عن التركيز عليها. فما المحاسبة؟ لابدّ أن نقول في الجواب إنّ للإنسان مصادر مهمّة طيلة عمره ينهمك في تأمينها واستهلاكها. والمحاسبة أن يراقب ماالذي يحصل عليه من تأمين هذه المصادر المهمّة؟ هل يستغل هذه المصادر القيمة كالعمر والعقل والدين والإيمان وما شابه ذلك كما ينبغي؟ الله محاسب ورغم أنّ علمه مطلق فقد صنع سجل عمل لجميع الأفراد وسيحاسبهم على أعمالهم وعقائدهم وسلوكياتهم، ويا له من سجل دقيق ومنظم بحيث يحصي أصغر أعمال الإنسان.[٢] ويجري جميع نظام الوجود على أساس الحساب والدقة. إذن لماذا لا يكون الإنسان من أهل الحساب مع أنّه لا يعتبر حتى قطرة من بحر عالم الوجود؟ لابدّ أن نحاسب أنفسنا مرّة كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر؛ كم أدّينا من عبادة خالصة؟ كم خدمنا الآخرين؟ ما مدى تجاوزنا لحقوقنا؟ هل ضيعنا حقوق الآخرين؟ ألسنا

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٢٠٨.

٢. للوقوف على شرح المباحث المتعلقة بصحيفة الأعمال راجع نفحات القرآن، ج ٦، ص ٧٥.

مدينين للآخرين؟ ومئات الأسئلة الأخرى؛ لأننا سنهزم إن لم نكن من أهل الحساب، سننّبه فجأة إلى ضياع كل مصادرنا دون أن نظفر بشيء. ويتضح مما تقدم كيف يستفيد من يخوض في محاسبة نفسه وما مدى الخسران الذي يصيب من يغفل عن حساب نفسه.

٤٤

حسن العاقبة

قال الإمام علي عليه السلام: «إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً وفَّقَه لإنفاذ أجله في أحسن عمله، ورزقه مبادرة عمله في طاعته قبل الفوت».[١]

الشرح والفسير

لحسن العاقبة أهميّة فائقة. ومن هنا فالدعاء بعاقبة الخير عظيم الأهميّة. واستناداً لهذا الأصل «إنّ الأجل مباغت» ولا فرق في رسالة الأجل بين المعافي والمريض والكهل والشبّاب والرجل والمرأة والصغير والكبير والعالم والجاهل والليل والنهار وسائر الأمور، فالإنسان ينبغي أن يحذر عاقبته. فبعض الأشخاص يكونون حين الموت أسوأ الأحوال كمجلس المعصية وحين السكر وفي حالة السرقة وما شابه ذلك. والبعض الآخر في أحسن الحالات كأن يصلي الصبح ويوفق في سجدة الشكر للقاء الله أو عند الطواف في الكعبة أو الصوم أو في الجبهة حين القتال وتفيض روحه. فقد أوصينا بالتأهب دائماً، فإن ارتكبنا ذنباً التفتنا وإن كان لأحد حق في أعناقنا أعدناه ولا نفوض للآخرين أو نسوف هذه الأعمال. فمعيار الفلاح العقيدة والإيمان حين موت الإنسان؛ فما أكثر الأفراد الذين حسنت عاقبتهم

---

١. ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٥٩١، الباب ٤١٤٥، ح ٢٩٣٩.

ولم تكن مسيرتهم صحيحة[١] وبالعكس كان هنالك العديد من الأفراد الذين يبدو أنّهم كانوا على طريق الحق ولكن ساءت عاقبتهم!

وسرّ حسن عاقبة الشخص أن يكون متأهباً دائماً ويؤدّي حقوق الله والناس، ذلك لأنّه يستطيع إطفاء النار بقطرات دموعه في حياته، بينما تغلق صحف الأعمال بعد الموت وتفوت فرصة التدارك.

---

١ . راجع سيرة بعض هؤلاء الأفراد السعداء في كتاب حسن عاقبة أفراد العالم.

٤٥

حق التقوى

قال الإمام علي(ع): «ما فات اليوم من الرزق رجي غداً زيادته، ومافات أمن من العمر لم يرج اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فـ «اتّقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون»».[1]

الشرح والتفسير

طرح(ع) بادىء كلامه إحدى نقاط الضعف الاجتماعية وهي: أنّ الناس حسّاسون بالنسبة لما يفقدون من إمكانات مادية يمكن تعويضها بينما لا يبدون مثل هذه الحساسية تجاه فوات أعمارهم التي يأبى التعويض. والحال مايقتضيه العقل لابدّ من الحسرة على ما مضى ولا يعود والاعتبار بالماضي وإدراك قيمة ما بقي من العمر وإعداد الزاد والمتاع. ثم استشهد(ع) بالآية ١٠٢ من سورة آل عمران فأوصى برعاية «حق التقوى» والسعي لحسن العاقبة والموت على ملّة الإسلام.

سؤال: أوصىٰ برعاية حق التقوى فما حق التقوى؟

الجواب: هنالك خلاف بين مفسري القرآن بهذا الخصوص، لكن المسلّم أنّ حق التقوى

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١١٤.

مرتبة عالية منها. جاء عن الإمام الصادقعليه السلام بشأن حق التقوى «أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر»[١]. فهنالك ثلاث نقاط بصفتها «حق التقوى» في رواية الإمام الصادقعليه السلام وأهمها مسألة ذكر الله. فذكر الله مصدر معظم الفضائل الأخلاقية ويوجب تهذيب النفوس ولا شك أنّ هناك رابطة وثيقة بين ذكرالله وطاعته، بل ترتبط جميع مباحث التقوى، بمعرفة الله، وكلما ازدادت المعرفة بالله وأكثرَ الإنسان من ذكر الله زادت تقواه. وعليه فالتقوى ثمرة معرفة الله. فإن آمنت حقاً بأنّ الله أقرب إليّ من حبل الوريد وحاضر ومراقب لأعمالي في كل مكان وعالم بما يدور في ذهني من أفكار وعقائد فسوف لن أقارف المعصية؛ وإن آمنا بأنّ بيده العزة والذلة لما اعتقدنا بأنّ عزتنا وذلتنا بيد الآخرين.

---

١ . مجمع البيان، ج ١، ص ٤٨٢.

٤٦

حقيقة الصوم

قال الإمام علي عليه السلام: «الصيامُ إجتنابُ المحارم، كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب».[١]

الشرح والتفسير

كما أنّ للإنسان روحاً وجسماً كذلك للعبادات روح وجسم، وجسم العبادة ظاهرها الذي يدركه كل شخص، وروح العبادة فلسفتها الوجودية والمصالح الكامنة فيها، على سبيل المثال، لصلاة الجماعة جسم وروح؛ والكثير من يأتي بحسن الشكل وظاهر هذه العبادة الكبرى، كصلوات الجماعة المليونية في مكة والمدينة أيّام مناسك الحج العظيمة، لكنها للأسف خالية من الروح. وروح الصلاة نهيها عن المنكر والفساد؛ غير أنّ الفساد يضج في مدن السعودية بغض النظر عن مكة والمدينة. وروح صلاة الجماعة الوحدة والوئام، وللأسف ليس هنالك من اتحاد بين كل هؤلاء المسلمين. لقد بين أميرالمؤمنين عليه السلام في العبارة ٢٥٢ من كلماته القصار في نهج البلاغة فلسفة عشرين حكماً من الأحكام الإسلامية، مثلاً، قال بشأن الحج «فرض الله... الحج تقربة للدين». في أيّام الحج يجتمع

---

١ . ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤١٧، الباب ٢٣٥٩، ح ١٠٩٥٢.

ملايين المسلمين وأجسامهم متقاربة، بينما هنالك مسافة شاسعة بين القلوب، ومن هنا لا تحل في هذا المؤتمر الضخم مشكلة واحدة من مشاكل المسلمين وكأنّهم لا مشكلة صعبة لديهم. وللصوم جسم وروح؛ وجسم الصوم الامتناع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات. أمّا روح الصوم بالاضافة إلى الإمتناع عن المفطرات الإبتعاد عن جميع الذنوب! حتى يبلغ الصائم مرتبة التقوى حسب تعبير القرآن الكريم[1]. ومن الواضح أنّ الجسم بدون روح ليس أكثر من تمثال. وبالنظر لذلك فالصوم ثلاثة أنواع:

١. صوم من يقتصر على إجتناب المفطرات بينما لاتصوم عينه وأذنه وسائر جوارحه.

٢. صوم من يجتنب الذنوب بالإضافة للإمتناع عن المفطرات.

٣. صوم من طهر كعبة القلب من كل ماسوى الله ولم يقطنه سوى حب الله.

---

١. كما إشارت إلى ذلك الآية ١٨٣ من سورة البقرة.

٤٧

حبائل الخداع

قال الإمام علي عليه السلام: «رحم الله امرءً غالب الهوى، وأفلت من حبائل الدنيا».[١]

الشرح والتفسير

مفهوم جهاد النفس، القتال بين حقيقة الإنسان وهوى النفس؛ فهناك الأهواء الطائشة في جانب، وحقيقة الإنسان، في الجانب الآخر. والإمام عليه السلام يدعو لمن يقاوم هوى نفسه. ثم أشار إلى حبائل الدنيا وحذّر الناس من هذه الحبائل الخلّابة والجميلة الظاهر.

خصائص الفخ

للفخ عدّة خصائص:

١. إحدى خصائص الفخ خفاؤه لكي لا يجلب الإنتباه.

٢. الخاصية الأخرى للفخ أنّه محكم ومن يقع فيه يتعذر عليه الهروب والفرار.

٣. الخاصية الثالثة أن يجلب الإنتباه بطعمه؛ فالحبوب بأطرافه تخدع الطيور وتلقيها في الفخ. ولفخ الدنيا هذه الخصائص؛ وأحد أفخاخ الدنيا حب المقام الذي يرافق الإنسان منذ

---

١. ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٣٨٤، الباب ٤٠٤٢، ح ٢١١٥٧.

مرحلة الشباب حتى آخر لحظات عمره[1]. لكل شيء وقت معين، إلّا أنّ حبّ المقام يرافق الإنسان دائماً طيلة عمره. وهذا الفخ يكون خفياً أحياناً يلبس ثوب خدمة الآخرين أو خدمة الثورة والدين أو الشعور بالمسؤولية الشرعية وما شابه ذلك. وقد طرحت حوله الحبوب التي تلفت النظر؛ فالاستفادة من النعم وضرورات المعيشة وحفظ ماء الوجه والإمكانات الأكثر وهدوء الروح والرفاهية الأفضل وأمثال ذلك من الحبوب المطروحة حوله. والعجب أنّ هذا الفخ محكم للغاية يشقّ على من وقع فيه النجاة منه. وأحد أفخاخ العبادات، الرياء. فالرياء في هذا النوع من العبادات يدب شيئاً فشيئاً حتى ينتهى إلى العجب، فيرى هذا الشخص أنّه أفضل وأرفع الأمة وشفيع يوم المحشر! ولا ينتهى الأمر عند ذلك الحد، بل يتأسر عقله إلى درجة ليصبح الهوى هو الأمير فيصبح طالب الله! لابدّ من التعرف بدقه على هذه الحبائل والإبتعاد عن الوقوع فيها. فإن سقطنا فيها لا سمح الله، وجب علينا أن نفكر سريعاً في كيفية النجاة منها، حيث يصعب التحرر منها مع تقادم الزمان.

---

١. ورد في الخبر «آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبّ الجاه» الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ٣٠.

أبواب البرّ

قال الإمام علي عليه السلام: «ثلاثٌ من أبواب البرّ: سخاءُ النفس وطيبُ الكلام والصبرُ على الأذى».[1]

الشرح والتفسير

للبِرّ مفهوم واسع ويشمل جميع الخيرات؛ البرّ المعنوي والمادى والفردي والاجتماعى والأخلاقي والاقتصادي والسياسي وأمثال ذلك. وهنالك معنى واسع لما قال تعالى في الآية الشريفة ٤٤ من سورة البقرة: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾**. قال أحد اللغويين: البرّ بالكسر والفتح بمعنى الصحراء، وحيث إنّ الصحراء واسعة فإنّ العرب تصطلح بالبِرّ على كل فعل يوسع حياة الإنسان والبَرّ بالفتح إحدى صفات الله تعالى: **﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾**[2]. على كل حال فقد عرض الإمام عليه السلام ثلاثة أعمال بصفتها بوابة أبواب البِرّ وهي:

الأول: سخاء النفس

المراد من سخاء النفس أنّ هذه الفضيلة الأخلاقية تتجذر في قلب الإنسان بحيث يُسّر قلباً بالكرم والسخاء. لأنّ الإنسان يفرض أحياناً السخاء على نفسه ليدرك الأجر

---

١ . بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٨٩.

٢ . سورة الطور، الآية ٢٨.

والثواب، إلّا أنّه يفرح قلباً أحياناً أخرى بسخائه ويستقر وضعه، فمثل هذا السخاء نافذ في قلب الإنسان وفي غاية الرفعة. لا ينبغى أن ننسى أنّ الله يقضي حوائج أغلب عباده بواسطتنا، ولا نتصور أنّ ما لدينا لنا، بل أحياناً لا نكون سوى واسطة وهنيئاً لأولئك الذين يكونون واسطة بين الله والمحتاجين. وقد بيّن تعالى هذا المطلب بأحسن صورة في الآية الكريمة من سورة الحديد: ﴿**آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾. ويتطلب شرح الإنفاق في حياة الأئمّة المعصومينعليهم السلام كتاباً مستقلاً، فبعض الأئمّةعليهم السلام قسموا أموالهم مع الفقراء أكثر من مرّة في حياتهم [1] والنموذج البارز على ذلك سورة الدهر [2].

الثاني: طيب الكلام

الكلام الطيب وحسن الخلق معين لا ينضب. فالمصدر المالي للإنسان محدود ومتوقع وحاجة المحتاجين لا حدود لها، ومن الواضح أنّ المحدود لا يلّبي حاجة اللامحدود. غير أنّ الله وهب الإنسان مصدراً غير محدود وهو طيب اللسان ليلبّي الحاجات اللامحدودة للمحتاجين، فلابدّ من التعامل معهم بلسان طيب الكلمة بعيداً عن الكلمات الجارحة .فإن تعذر مدّ يد العون مادياً فلابدّ من اللطف بهم لساناً. فما يفعله الأدب لا تسعه عشرات الأدلة. ولطيب الكلام جاذبة عجيبة سيما في الوقت الذي نتهم فيه بالعنف.

الثالث: الصبر على الأذى

الدنيا موضع الصعاب والمعضلات والمنغّصات؛ فالمصيبة والقحط والجفاف والزلزال والسيل ومختلف الأمراض وما شاكل ذلك من منغّصات الدنيا. وهنالك بعض الحوادث في السياقة وسائر الأمور التي نواجهها كل يوم ولابدّ من تحملها جميعاً وتذكير الآخرين بها بلسان طيب ليمكن بلوغ أبواب البِرّ.

---

١ . نقل المرحوم الشيخ عباس القمي في منتهى الآمال، ج ١، ص ٤١٧، عن الإمام الصادقعليه السلام أنّ الإمام الحسنعليه السلام قسم جميع أمواله على الفقراء ثلاث مرات فأخذ نصفها ودفع النصف الآخر للفقراء.

٢ . ذكرنا شرح هذه القصة نقلاً عن مصادر أهل السنّة في كتاب آيات الولاية في القرآن.

٤٩

الدنيا والآخرة

قال الإمام علي عليه السلام: «ما بَعُدَ كائِن وما قَرُبَ بائِن».[١]

الشرح والتفسير

يشير هذا الحديث إلى الدنيا والآخرة؛ والآخرة كائنة، أي قادمة؛ وعليه فما سيأتي ليس ببعيد. أمّا الدنيا فمفارقة على كل حال وبائنة والبائن ليس بقريب. والخلاصة فإنّ الدنيا القريبة ظاهرياً بعيدة، أمّا الآخرة البعيدة ظاهرياً فقريبة ودائمة. والتعبيرات التي وردت في الآيات والروايات بشأن الدنيا والآخرة كثيرة وعلّة التأكيد على هذه المسألة ما يعرض لنا نحن الناس للأسف من غفلة. فمنطق بعض الناس كمنطق عمر بن سعد ـ لعنة الله عليه ـ حيث يقولون: الدنيا في اليد والآخرة مؤجلة فلا ينبغي بيع العاجل من أجل الآجل[٢]. والحال ليست الدنيا نقد ولا الآخرة فقد؛ فأعظم المقامات والمناصب تزول بطرفة عين،

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

٢. حين أراد ابن زياد من عمر بن سعد قتال الإمام الحسين عليه السلام، استمهله عمر ليفكر ليلة في هذا الأمر، فأنشد شعراً تلك الليلة في حيرته ومن ذلك بيته:

ألا إنّما الدنيا لخيرِ معجّلٍ — وما عاقلٌ باعَ الوجودَ بدينِ

(منهاج الدموع، ص ٢٩١)

فياله من نقد تافه ومتقلب. جاء في الخبر أنّ أهل الآخرة حين ينظرون إلى الدنيا يرون جميع عمر الدنيا لا يعدل فُواق ناقة. أمّا الآخرة فخالدة ولابدّ أن نقرّ بهذه الحقيقة ونؤمن بها وتتضح على ضوئها آثار الايمان على أعمالنا وسلوكنا وعقائدنا. على غرار السراج إذا أُشعل في دار فإنّ نوره يتخلل جميع منافذها إلى الخارج.

٥٠

ما يهلكان الناس

قال الإمام علي عليه السلام: «أهلك الناسَ إثنان: خوفُ الفقر وطلبُ الفخر».[١]

الشرح والتفسير

لو تأملنا علل ازدياد الإنتهاكات والسرقات والرشوات والتطفيف في مختلف أشكاله وكذلك السعي الحثيث والحريص لأكثر الناس، لرأينا للعنصرين المذكورين أعمق الأثر في هذه الحوادث. فالبعض بامتلاكه لكل شيئ يمارس كل مخالفة خشية الفقر (إنتبه، خشية الفقر لاالفقر الواقعي) أو حسب قولهم: ضمان المستقبل. والبعض الآخر يضحي بهدوء حياته وروحه لنيل بعض المفاخر الموهومة، والحال لو تخلّوا عن هاتين الصفتين القبيحتين لعاشوا حياة وادعة آمنة[٢].

والعبارة «أهلك الناس» ربّما إشارة إلى الهلكة المعنوية والبعد عن الله والانغماس في الذنوب، كما يمكن أن تكون إشارة إلى الهلكة الظاهرية والجسمية أو ما يصطلح عليها بالفيزيائية، ذلك لأنّ خوف الفقر وطلب الفخر الموهوم يضطر الإنسان لأعمال خطيرة بحيث يحمل أحياناً نفسه على راحته. أضف إلى ذلك فإنّ خوف الفقر وطلب الفخر عنصران

---

١. تحف العقول، المترجم، ص ٢٣٩؛ نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٩٥.

٢. مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٩٤.

يشلّان الأعصاب يضغطان عليها دائماً ويسلبانه أمنه كالحسد الذي يأكله مـن الداخـل ويسلمه للموت المبكر. ولا يبعد الجمع بين التفسيرين المذكورين.

٥١

المبعدون عن الرحمة

قال الإمام علي عليه السلام: «من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله».[١]

الشرح والتفسير

تستفاد هذه الحقيقة بجلاء من الروايات الإسلامية في أن يستغل المسلمون في العالم جميع المصادر كالتدجين والزراعة والصناعة والمعادن الجوفية والتجارة لمواجهة الفقر. وعلى الأمّة أن تسدّ نقصها الاقتصادي وإن تمتعت بإحدى هذه المصادر، فضلاً عن إمتلاكها لجميع المصادر. وإن لم تفعل فهي أمة ملعونة وبعيدة عن رحمة الله وروح الإسلام ومحتاجة للآخرين وبالتالي فهي قبيحة ومذمومة من جانب الإسلام[٢].

ونكتفي بذكر خبر واحد ونترك للقارئ العزيز إصدار الحكم لنعلم مدى عمل بلدنا الإسلامي إيران بهذه الرواية:

جاء في تقرير منظمة الأُمم المتحدة بشأن ايران «ستحتاج ايران هذا العام إلى سبعة ملايين طن من القمح». ذكر بعض المطلعين: لقد تحولت إيران إلى أكبر مستورد للقمح بينما لديها ستة ملايين هكتار من الأراضي القابلة للزراعة. طبعاً لابدّ أن ينبري كل الأفراد من ذوي القوّة ويرفعوا هذه الحاجة التي علقت بهذا البلد الإسلامي الكبير.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٦٠.

٢. المصدر السابق.

٥٢

العين وتأثيرها على القلب

قال الإمام علي عليه السلام: «العين رائد القلب».[1]

الشرح والتفسير

يمكن أن يكون هذا الحديث القصير والعميق المعنى إشارة إلى الجوانب الإيجابية أو السلبية للعين. مثلاً ربما تكون للشخص ـ نعوذ بالله ـ عين شيطانية وينتقل هذا المرض من عينه إلى قلبه فيصبح قلبه مسخراً للشيطان. فنظرة مريبة ربّما تؤدي إلى ما لا تُحمدُ عُقباه. جاء في الرواية بشأن خطر هذا الذنب الكبير «أول نظرة لك والثانية عليك ولا لك والثالثة فيها الهلاك»[2].

كما يمكن أن يكون إشارة إلى جوانب العين الإيجابية. كأن تهدي نظرة الإنسان من الكفر إلى الإيمان ومن الشك إلى اليقين وقد ورد الحث على التفكير في الخلقة وخلق السموات والأرض ولا يحصل ذلك إلّا عن طريق العين لرؤية هذه المناظر التي أكدها القرآن. على كل حال تشير الرواية المذكورة إلى الأبعاد الإيجابية والسلبية لآثار العين وتأثيرها البالغ على

---

١ . ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٧٠، الباب ٣٨٧٩، ح ١٩٩٣٩.

٢ . وسائل الشيعة، ج ١٤، ابواب مقدمات النكاح، الباب ١٠٤، ح ٨، كما توجد في هذا الباب روايات أخرى في النظر.

قلب الإنسان وسعادته وشقائه.

ورسالة الرواية أن يفتح الإنسان عينه ويستفيد مما يرى لمصلحة معرفة ذاته وعـالمه الذي من حوله ثم ينقل للآخرين ما رآه.

٥٣

التقوى واللسان

قال الإمام علي عليه السلام: «وليخزن الرجل لسانه فإنّ هذا اللسان جَموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتق تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه».[١]

الشرح والتفسير

الكلام في اللسان كثير، لكن موضوع بحث هذه الرواية علاقة السيطرة على اللسان والتقوى. فعلاقتهما وطيدة بحيث تتعذر التقوى دون لجم اللسان! فدين الأفراد وقيمتهم الوجودية والوعي الفكري والسمّو الروحي لهم وبالتالي إنسانية بني آدم إنّما تُقيّم باللسان. نعم، فاللسان معيار التقييم، ومن هنا فإنّ الخطوة الأولى في تهذيب الأخلاق حفظ وتهذيب اللسان والسيطرة عليه. فاللسان وجود خطر وفي نفس الوقت مهم جدّاً وخطره بسبب أهميّته. وخطر اللسان أنّه لدى الإنسان دائماً وتحصل الذنوب التي تتم بواسطته بسهولة وحيث اعتدنا عليه، فللأسف زالت قباحة وشناعة معاصي اللسان. أضف إلى هذين المطلبين ـ اللذين يوضحان خطر اللسان ـ فإنّ الأخطر أنّ الذنوب التي تحصل باللسان عادة من حقوق الناس: ومن ذلك الغيبة والتهمة وبث الشائعات والمزاح اللامشروع

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦ .

وإشاعة الفحشاء والكذب وإيذاء المؤمن والفحش والقـذف ومـا شـابه ذلك والتي تـتمّ باللسان، لمن الذنوب التي تخصّ حق الناس. ويتضح ممّا سبق عدم حصول التقوى دون لجم اللسان. وعليه فالخطوة الأولى في طريق السعادة، المراقبة التامة للكلام.

٥٤

الشخصية والتقوى

قال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ أحبَّ المكارِمَ اجتنبَ المحارِمَ».[١]

الشرح والتفسير

هنالك العديد من التعبيرات في الروايات التي تصرح بعزة وعظمة المتقين في الدنيا. قال تعالى: ﴿**لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]. من جانب آخر جاء في بعض الروايات أنّ الذنب الفلاني يذهب بحيثية الإنسان ويحط من قدره. ويستفاد من مجموع هذه المطالب وجود العلاقة بين التقوى وقيمة الإنسان في الدنيا. وتتحدث الرواية المذكورة عن هذا المطلب وترى أنّ الظفر بالشخصية الاجتماعية المرموقة في ظلّ الابتعاد عن المعصية وطاعة الله تعالى، أي أنّ الثواب والعقاب ليس جزاء المحسن والمسيء فقط، بل للطاعة والمعصية آثار في هذه الدنيا. وبعبارة أخرى أنّ الدين ليس فقط لعالم الآخرة، بل مفيد للدنيا أيضاً. مثلاً إن الإنسان الذي يكذب ربّما يخفىٰ كذبه على الناس أيّاماً، لكنّه يفتضح في النهاية وبعد فضيحته يفقد ثقة الناس به.

---

١ . بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩ .

٢ . سورة المنافقون، الآية ٨ .

وعليه فالتقوى شجرة يستفاد من ثمارها في الدنيا والآخرة. ولا ينبغي ضمناً أن ننسى أن نبته التقوى تحتاج الى الري والمراقبة كل يوم وإلّا تذبل لابدّ من الاستغفار والتوبة ليل نهار. ولابدّ للإنسان أن يستودع الله نفسه ويراقب جوارحه حين يغادر بيته.

٥٥

طريق العودة

قال الإمام علي عليه السلام: «ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة».[١]

الشرح والتفسير

أهلُ الدنيا ثلاثة:

١. فئة على الصراط المستقيم لا تسلك سبيل الافراط ولا التفريط.

٢. فئة تنطلق أحياناً على الصراط المستقيم وأخرى تضل الطريق.

٣. فئة ضالة فهي جزء من «المغضوب عليهم» أو «الضالين».

وقد بيّن الإمام عليه السلام بهذه الرواية سبيل الرجوع لجميع الأفراد الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم. إنّ الرجوع إلى الصراط يقتصر على التفكير والتأمل. فلا ينبغي تلبية كل صوت وشعار دون تأمل، لأنّ ذلك مدعاة للخروج عن الصراط.

سؤال: ماالتفكير الذي يعيد الإنسان إلى جادة الصواب؟

الجواب: جاء الجواب في هذه الرواية، حيث قال عليه السلام التفكير في أمرين:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.

١. في عظيم القدرة الإلهيّة والإيمان بها. فاعلموا أنّ كل شيء بيده المقتدرة، فبيده العزّة والذلّة والسعادة والشقاء والنصر والهزيمة والصعود والسقوط، والخلاصة كل شيء، والواقع ليس لدينا من إرادة إزاء إرادته.

٢. جسيم النعمة، لابدّ من التفكير في عظيم النعم الإلهيّة التي لا نهاية لها! كيف ضللنا ونحن نغرق في نعم الله منذ ولادتنا وحتى قبلها الى آخر الحياة، النعم الجمّة التي لا نقدر على إحصائها[١]. فلو فكر الناكبون عن الصراط بهذين الأمرين لعادوا إليه، ولكن حيث لهم قلوب عليلة وبصائر عمية لا يسعهم بهذه العين رؤية نعم الله ولا يدركون بقلوبهم العليلة قدرة الله، ومن هنا لا يعودون إلى الصراط المستقيم. ومثل هؤلاء الأفراد لابدّ أن يصلحوا بادئ الأمر وسائل معرفتهم، ثم يفكرون بقلب وفكر سليم بقدرة الله المطلقة ويروا بعيون سليمة نعم الرحمن الوفيرة التي يصعب عدها ليفيئوا إلى الصراط.

---

١. أشار القرآن لهذا المطلب في الآية ٣٤ من سورة ابراهيم والآية ١٨ من سورة النحل «وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها».

٥٦

سبيل السلامة والعافية

قال الإمام علي عليه السلام: «العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلّا بذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء».[1]

الشرح والتفسير

إن سُئلَ: ما السبيل للقضاء على الذنب ومعصية الأشخاص والأسر والبلدان وبالتالي جميع أبناء العالم؟ لقلنا في الجواب: لابدّ من عنصرين مهمّين لبلوغ هذا الهدف السامي:

الأول: أن تتهذب المجالات الذهنية والروحية والأخلاقية لبلوغ حالة التقوى لدى الإنسان والتي تعدّ سدّاً إزاء هجوم الشهوات وكلما كانت هذه الملكة أقوى ازدادت حصانة الإنسان.

والثاني: زوال المقدمات الخارجية للذنب، لا أن تتسع وتكثر كل يوم مقدمات المعصية بذريعة الحرية، سيما الشبّان الذين يتعرضون للمعصية وطغيان الشهوة أكثر من غيرهم لابدّ أن يولون أهمية فائقة لهذين العنصرين، فلا يحضرون مجالس المعصية ولا يطالعون القصص المثيرة للجنس وروايات الغرام الإباحية ولا يعاشروا أصحاب السوء الذين يشجعون على

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٣٧.

الرذيلة، ويجتنبون سائر ممهدات ومقدمات الآثام. ولو تمعنا في المعارف والأحكام الإسلامية لوجدنا التعاليم بهذين الشأنين. فالله تعالى لم يأذن بارتكاب الذنب ويعاقب المذنب، بل ضاعف العذاب لمن يجاهر بالذنب؛ ولم يحرم القمار فحسب، بل حكم بحرمة شراء وبيع وحفظ آلات القمار. ولم يحظر شرب الخمر وكل مسكر فحسب، بل لعن صاحب بستان العنب الذي يصنع منه الخمر ومصنع الخمر والوسيلة النقلية التي تحمله ومخزن الخمر وبائعه وشاربه وساقيه[١].

وتتضح بهذه المقدمة القصيرة الإجابة عن المغالطة التي يردّدها البعض «أنّ المرأة لابدّ أن تكون حرّة في مسألة الحجاب سواءً رغبت فيه أم لم ترغب! والناس أحرار في الإتيان أو ترك سائر الواجبات والمحرمات، لكلٍّ أن يفعل ما يشاء!». وبطلان هذا الكلام واضح. فالعقلاء كافّة يقولون لا ينبغي إلقاء الناس في الهاوية وتركهم أحراراً، فجميع العقلاء يضعون سوراً حول الهاوية، ويضعون أسواراً حول النوافذ ولا يعرضون حسب الاستدلال المذكور أرواح أولادهم للخطر، ويرى الامام عليعليه السلام في هذه الرواية أنّ العافية المعنوية، أي السلامة من الذنب لها عشرة أجزاء تسعة منها في السكوت، إلّا أن يلهج الإنسان بذكر الله. لأنّ الجانب الأعظم من الذنوب يتمّ باللسان، ولهذا تسعة أجزاء العافية في السكوت. فهنالك ثلاثون كبيرة تحصل باللسان ولهذا لابدّ أن نسعى للتكلّم قليلاً فإن قلّ كلامنا قلّت أخطاؤنا، وعليه فالصمت مهم للغاية بحيث يمكن معرفة الأشخاص من اللسان. الجزء العاشر للعافية والذي يعدّ إحدى مقدمات الذنب، ترك مجالس السوء والمعصية؛ أي أن حضور مجالس الذنب حرام وإن أذنب الآخرون ولم تذنبوا، بل تنظرون إليهم فقط. فالأشخاص والأُسر والمجتمع يستطيعون ردع أنفسهم عن اقتراف الذنوب والمعاصي من خلال العمل بهذه الروايات.

---

١. هناك رواية تقول: «لعن الله عشرة من الأفراد الذين يعدون ويحفظون ويتناولون المشروبات الكحولية». راجع هذه الروايات في وسائل الشيعة، ج ١٢، ابواب مايكتسب به، الباب ٥٥، ح ٥-٣.

٥٧

طريق نفوذ الشيطان

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل وهو قول الله عزوجل ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[١] وقوله عزّوجلّ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾».[٢][٣]

الشرح والتفسير

أشار أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الرواية إلى آيتين؛ الأولى التي تنفي سلطة الشيطان على خاصة أولياء الله. والأخرى التي تثبت سلطة الشيطان بالنسبة لطائفتين؛ الطائفة التي علقت في عنقها ولاية الشيطان وخضعت لها، والأخرى التي جعلت الشيطان شريك الله، فتارة تقر بولاية الله وأخرى ولاية الشيطان. وللشيطان حسب منطق القرآن سلطة على هاتين الطائفتين. ولدىٰ الناس تصورات خاطئة عن الشيطان. يظنون أنّهم ربّما ينصاعون للشيطان دون إرادة، والحال هذا الظن باطل. فما لم يمنح الشيطان جواز سفر لا يسع هذا الكائن التافة المطرود من رحمة الله أن يلج بلد روح الإنسان. نعم ما لم يمنح الإنسان

---

١. سورة الحجر، الآية ٤٢ وسورة الاسراء: الآية ٦٥.

٢. النحل، الآية ١٠٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٧٢.

للشيطان الضوء الأخضر ويوقع جوازه ليس له قدرة النفوذ إليه.

سؤال: ما الأمور التي تمهد لنفوذ الشيطان وتعتبر بمثابة ضوء أخضر؟

الجواب: هنالك عدّة أمور تمهد السبيل لنفوذ الشيطان منها:

١. أصحاب السوء إحدى المقدمات المهمّة لسلطة الشيطان.

٢. حضور مجالس المعصية عنصر آخر لنفوذ الشيطان.

٣. الأفلام الفاسدة والمفسدة وكتب الضلال والمشاهد المثيرة في الفضائيات والانترنت وما شابه ذلك تمهد السبيل لتسلط الشيطان.

٤. الإختلاء بالأجنبية أيضاً من مقدمات نفوذ الشيطان. ومن هنا لا تصح الصلاة والعبادة في مثل هذا الموضع المختلي... وأمثال ذلك. لابدّ أن نسعى من خلال القضاء على ممهدات نفوذ الشيطان لحفظ أنفسنا من وساوسه ونخرج من نطاق ولايته فنكون من زمرة أولئك العباد الذين لاسلطة للشيطان عليهم.

إلهي اجعلنا من خلّص عبادك الذين لا تؤثر فيهم وساوس الشياطين.

٥٨

أهنأ مركب وأفضل الزاد

قال الإمام علي عليه السلام: «جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدّة وفاته».[١]

الشرح والتفسير

شبّه أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان في الدنيا بالمسافر العازم السفر إلى مكان بعيد. فكل مسافر بحاجة إلى ثلاث: ١. وسيلة نقلية مناسبة. ٢. زاد ومتاع كافٍ، ٣. جادة آمنة من الخطر. إن توفرت هذه الوسائل للمسافر فإنّه يصل لمقصده بسهولة. ونحن الناس مسافرون نحو الدار الخالدة وكسائر المسافرين بحاجة لواسطة نقل مناسبة وزاد ومتاع كافٍ وجادة آمنة ـ أشار الامام عليه السلام في هذا الحديث إلى هذا الموضوع على أنّ «الصبر» واسطة مناسبة لهذا السفر الطويل والخطير؛ لأنّ الإنسان مالم يستقل مركب الصبر يبق في العقبة الأولى والثانية. والدنيا التي وصفها عليه السلام بأنّها محفوفة بالبلاء[٢]. لا تطوى دون الصبر. وعليه فأفضل واسطة لهذا السفر، الصبر. ثم وصف عليه السلام التقوى كزاد ومتاع في هذا السفر، فالتقوى والشعور بالمسؤولية دافع للحركة، ولا دافع للإنسان العديم التقوى والشعور بالمسؤولية للحركة، كما أنّ المجتمع العديم التقوى لا دافع لديه للحركة. ويعاني اليوم المجتمع العالمي من اللاتقوى.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٧٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٦.

والأمّة إن أرادت الراحة في حياتها الدنيا عليها أن تتحلى بالتقوى فضلاً عن الوصول إلى الجنة وقرب الله فلابدّ أن تراعى التقوى في جميع مجالاتها، فهي لا تضمّن وصول القافلة إلى القرب الإلهي والمقصد المطلوب فحسب، بل يمكن لطلاب الدنيا أن يبلغوا أهدافهم بهذا الزاد والمتاع.

٥٩

روح العبادة

قال الإمام علي عليه السلام: «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلّا السهر والعناء، حبذا صوم الأكياس وإفطارهم».[١]

الشرح والتفسير

فيض الله مطلق ولطفه تعالى لا متناهٍ، والعبادات تنبع من فيض الله. وعليه فبركات العبادة لامحدودة. نعم، بركات الصلاة والصوم وتلاوة القرآن وحج بيت الله وزيارة المعصومين عليهم السلام وسائر العبادات خارجة عن الحدود؛ لأنّ مصدرها لا محدود. إلّا أنّ العباد ليسوا متساويين في الاستفادة من هذه البركات، بل استفادة كل شخص تتناسب مع استعداده وتقواه وإيمانه. فالمطر ينزل بصورة لا محدودة، إلّا أنّ حصة كل بقعة ومزرعة بقدر سعتها. واستفادة كل إنسان تتوقف على الظرف الموضوع تحت المطر. وإننا لنتجه حين العبادة صوب ينبوع الرحمة الإلهيّة المتدفق والمطلق اللامتناهي، إلّا أنّ كل شخص يستطيع التزود من ذلك الينبوع بما يحمل من ظرف. تصور بستاناً مليئاً بالفاكهة والكثير من الأزهار

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ١٤٥. كما وردت الرواية المذكورة اكثر خلاصة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ربّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش وربّ قائم حظه من قيامه السهر». ميزان الحكمة، الباب ٢٣٥٦، ح ١٠٦٣٩.

ويرده عدّة أفراد، فإن دخله راعٍ لم يلتفت سوى إلى العلف الذي تتغذى عليه الأغنام، ويرده شخص آخر ويتناول من ثماره! وإن دخله الفيلسوف يتأمل قدرة الله ويقول في نفسه ياله من صانع قدير ابتدع كل هذا اللطف والجمال. نعم، كلّ يتزود حسب استعداده، بينما البستان واحد للجميع. واستناداً لهذه المقدمة نعود الآن لشرح هذه الرواية. فقد أشار عليه السلام في هذه الرواية لهذا المطلب وبيّن أن حظ بعض المسلمين من الصلاة والصوم مجرد العطش والجوع والسهر، لكن بالمقابل هنالك البعض الآخر الذي يغسل جميع ذنوبه في شهر رمضان. فهذا يأخذ درس الاستقامة من شهر رمضان ويحبس الهوى والهوس والشيطان، وذاك يبلغ مقام التقوى، والبعض يتشرف حقّاً بضيافة الله ويتغذى على تلك السفرة الغناء بالأطعمة المعنوية المباركة.

سؤال: ماذا نفعل لننتهل أكثر من العيون الجياشة للفيض الإلهي؟

الجواب: علينا أن نرفع مستوى معرفتنا ونزيد من استعداداتنا. ومن هنا كان شهر شعبان شهر التهذيب وشهر رمضان شهر الاستفادة والانتهال؛ ذلك لأنّ الإنسان ينبغي أن يهيىء نفسه قبل دخول الضيافة ويرتدي ملابسه النظيفة وليس أثناء الضيافة! نحن أيضاً لابدّ أن نعد أنفسنا في شهر شعبان للحضور في هذه الضيافة الكبرى ونستغفر لذنوبنا ونسيطر على أعيننا وآذاننا وألسنتنا لتكون قلوبنا مركز نور الله وآيات القرآن وننفتح على بركات شهر رمضان المبارك.

٦٠

الصوم الواقعي

قال الإمام علي عليه السلام: «صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة واختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الأجر والثواب. وصوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب من جميع أسباب الشر».[١]

الشرح والتفسير

إنّ أحد أعظم نعم الله شهر رمضان المبارك؛ الشهر المفعم بأنواع البركات. فأعظم نِعم الله القرآن الكريم نزل في هذا الشهر؛ نعمة هي أسمى مائدة سماوية. فأبواب الرحمة في هذا الشهر مفتحة وأبواب جهنم مغلقة والشياطين مغلولة وأهواء النفس مكبوتة. ولكل نعمة شكر، وشكر هذه النعمة أن نقف على فلسفة وأسرار هذا الشهر ونظفر بحقيقة الصوم. وهذه الرواية تبيّن حقيقة الصوم. فالصوم ليس مجرّد الامتناع عن الأكل والشرب، بل الصوم أن يبتعد الإنسان عن جميع الذنوب. فإن فارق الإنسان الذنوب لشهر وتمرن على هذا العمل طيلة الشهر المبارك تبدلت هذه المسألة (الابتعاد عن الذنب) إلى «حالة» ثم «عادة» وبالتالي «ملكة» وهي مؤثرة ومفيدة طيلة السنة. وعليه فالإنسان الذي يمتنع عن الأكل والشرب ويقارف أنواع المعاصي حتى بلسان الصوم لم يدرك حقيقة الصوم. وقد صوّر

---

١. ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٧١، الباب ٢٣٥٨، ح ١٠٦٥١.

علي عليه السلام الصوم بصيغة أروع في رواية أخرى فقال: «صيام القلب عن الفكر في الآثام أفضل من صيام البطن من الطعام»[1] أي أنّ الصائم لابدّ أن يبلغ مرتبة بحيث لا يكتفي بالامتناع عن المفطرات وارتكاب الذنوب، بل لا يفكر أصلاً بارتكاب الذنب.

وإلى هذا أشار تقسيم بعض الأعلام الصوم إلى: ١. صوم العوام ٢. صوم الخواص ٣. صوم خاص الخاص.

فصوم العوام اجتناب الأكل والشرب وسائر الأمور التي تبطل الصوم. وصوم الخواص اجتناب جميع الذنوب والمعاصي والمحرمات بالإضافة لما ذكر سابقاً. وصوم خواصّ الخواصّ عبارة عن اجتناب مفطرات الصوم وجميع الذنوب والمعاصي وعدم التفكير بالمعصية؛ أي في القسم الثالث لا تصوم البطن واللسان واليد والرجل والعين، بل يصوم القلب والفؤاد ولا يفكر في الذنب، وهذا مقام في غاية السمو والرفعة.

إلهي وفقنا للعمل بهذه الروايات.

---

١. ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٤٧١، الباب ٢٣٥٨، ح ١٠٦٤٨.

٦١

جذور الفتن

قال الإمام علي عليه السلام: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتبع، وأحكام تُبتدع، يخالَف فيها كتاب الله ويتولّىٰ عليها رجال رجالاً على غير دين الله». [١]

الشرح والتفيسر

الفتنة: لغوياً بمعنى الإمتحان والإختيار تارة والعقاب والعذاب تارة أخرى، كما جاء في القرآن الكريم: **﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾** [٢] ولكن المراد من الفتنة في هذا الحديث الأحداث الاجتماعية الساخنة التي تؤذي روحية الأفراد وتعذبهم. طبعاً جاءت هذه المفردة ـ كما ذكرنا ـ بمعنى الإمتحان، لأنّ الإمتحان مقرون غالباً بالصعاب. بيّن عليه السلام في هذه الخطبة بشأن الفتن الاجتماعية أنّها تنطلق من شيئين:

١. اتباع هوى النفس.

٢. ابتداع الأحكام المخالفة لكتاب الله والمطابقة لهوى النفس. ويستفاد من هذه الروايات أنّ اختلاف الأذواق لا يخلق الفتنة، لأنّه أمر لا يمكن اجتنابه كاختلاف الأشكال، كما لا تنبعث من أخطاء الأفراد والجماعات، مصدر جميع الفتن هوى النفس الذي يتجلى

---

١ . نهج البلاغه، الخطبة ٥٠.

٢ . سورة الذاريات، الآية ١٣ .

بصور متعددة، تارة باسم حقوق الإنسان وأخرى بعنوان الحرية وأحياناً الدفاع عن المظلومين وأخرى أداء الوظيفة وحتى بصيغة العبادة.

وإلى هذه الموارد أشارت الآيات ١٠٣ و ١٠٤ من سورة الكهف: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** وهذه بعض صور هوى النفس. أو ماورد في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله حين يكون المعروف منكراً والمنكر معروفاً[١] وهذا مانشاهده الآن للأسف في بعض الأمور. على سبيل المثال يرون من يعمل بالأمانة والصدق ويقنع بالحلال متخلفاً والآخر الذي يصبح خلال مدة قصيرة صاحب بيت وسيارة عن طريق الخيانة والسرقة لأموال الآخرين شخصاً كفوءاً وذكياً، أترى كيف أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

---

١ . وسائل الشيعة، ج ١١، أبواب الأمر والنهي، الباب ١، ح ١٢.

من الزاهد

قال الإمام علي عليه السلام: «الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره».[1]

الشرح والتفسير

أحد مفاخر علي عليه السلام زهده، وقليل كلما قيل في زهده عليه السلام، فقد كان القدوة الكاملة في الزهد في الدنيا ولابدّ للزهاد من إقتفاء أثره، ولكن حيث للزهد مفهوم معقد فقد أخطأ الكثير حقيقته.[2] ولهذا خاضت الروايات الإسلامية في بيان حقيقته. والرواية المذكورة من الروايات التي خاضت في المعنى الصحيح للزهد. وطبق هذه الروايات فالزاهد من اتصف بصفتين:

١. أن يتحلى بالصبر في تعامله مع الحرمات فيحفظ نفسه حين يتمهد السبيل أمام الحرام، فهذا الإنسان زاهد. وليس بزاهد من يُغريه المال الحرام والشهوات غير المشروعه والمقام الحرام وأمثال ذلك وإن لبس المسوح وساح عبادة في الصحارئ، أما من صمد إزاء

---

١ . بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٣٧ (نقلا عن ميزان الحكمة، الباب ٦١٣، ح ٧٧١٣) .

٢ . مثلا يتصور البعض ان الزاهد يلبس الثوب الخشن ويعتزل الناس ويمارس العبادات في الصحارئ والكهوف. وعليه فمن عاش وسط المجتمع أو تزعم الحكومة فليس بزاهد.

المحرمات فهو زاهد وإن انتفع بمتع الدنيا.

٢. الخاصية الأخرى للزاهد الحقيقي أنّ المال الحلال لا يغفله قط عن الله الرازق ويشكره على الدوام. ومثل هذا الفرد يدرك أن الآخرين شركاؤه حتى في أمواله الحلال ولا تتعلق به دون غيره، كما ورد في الآية: **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**.[١] وللتعبير بالحق هنا نقطتان: الأولى أنّ الأموال أمانة لدى الإنسان. والأخرى للفقراء والمساكين والمحتاجين حق في هذه الأموال، وعلى صاحب المال أن يفكر بمساعدة الآخرين. على كل حال فالزاهد من لا يغفله المال الحلال عن الله وهو دائم الشكر للنعم الإلهيّة. كما وردت رواية أخرى عن الإمام علي عليه السلام في تفسير الزهد وهي: «الزهد كلّه في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى **﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾**[٢].

فمن لم يتأسّ على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد»[٣]. هذه الرواية في الواقع تكرار لمضمون الرواية الأولى لأنّ من يغتم على فقدان نعمة ويأسف عليها يسعى للحصول على ما فقده بكل طريقة وهنا تهزم مقاومته إزاء الحرام. كالغافل عن نعمة الله ولا يؤدي شكر النعم الإلهيّة.

---

١. سورة الذاريات، الآية ١٩.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٣.

٣. ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٥١، الباب ١٦١٢، ح ٧٦٩٥.

٦٣

الزهد ومعرفة الدنيا

قال الإمام علي عليه السلام: «الزاهد في الدنيا كلّما ازدادت له تجلياً ازداد عنها تولياً».[١]

الشرح والتفسير

إنّ منشأ أغلب المشاكل الأخلاقية التي تصيب الإنسان، مشكلة المعرفة، وحين تحل هذه المشكلة وتتكامل معرفة الإنسان تحل مشاكله الخلقية. لِمَ أصبح البعض عبدة للدنيا؟ لأنّهم لم يعرفوا هذه الدنيا الغرارة المزخرفة. طبعاً من الواضح أننا لا نرى الأخلاق مساوية للعلم والمعرفة بحيث ليس هنالك من تدخل للغرائز فيها، ولكن يقيناً أنّ أحد مصادر الأخلاق العلم والمعرفة. وعليه لو صدّق عبدة الدنيا أنّها سريعة الزوال وتافهة ومتقلبة ومشوبة بأنواع المحن لما عبدوها قط. دخل شخص على ملك وقال: أحبّ أن أجلس على عرشك ليوم واحد ويكون الأمر لي في كل شيء! وافق الملك وجلس ذلك الشخص على العرش. فأمر الملك أن يلفّ خنجر بشعرة ويعلّق فوق رأس ذلك الشخص. فلمّا رأى الخنجر اضطرب وقلِق. سأل: ما هذا الخنجر؟ قيل: هذه مصائب ومصاعب الحكومة ولابدّ أن تتحمل. فانتظر غروب الشمس فلمّا غربت نزل من العرش وتنفس الصعداء وقال: الحمد لله لم أصبح ملكاً. وكان المرحوم آية الله العظمى البروجردي رحمه الله أحد مراجع التقليد الأفذاذ في

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

عصره يقول: «لو درس طالب العلوم الدينية وأجهد نفسه لينال هذا المقام (المرجعية) فما من شك في حماقته».

والخلاصة لابدّ أن نبتعد أكثر عن الدنيا. طبعاً الزهد لا يعني ترك الدنيا، بل عدم التعلق بها وإن انتفع بها من خلال الطريق الصحيح.

٦٤

الزمان أحد الشهداء يوم القيامة

قال الإمام علي عليه السلام: «ما من يوم يمر على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم! أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد. فقل فيَّ خيراً، واعمل فيَّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة؛ فإنّك لن تراني بعده أبداً». [1]

الشرح والتفسير

جعل الله شهداء على أعمال الإنسان:

١. أعضاء بدن الإنسان أحد الشهود: **﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾** [2] وقالت الآية ٢٠ من سورة فصّلت: **﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

٢. الشاهد الآخر على أعمال الإنسان، الملائكة، جاء في الآية الشريفة ١٨ من سورة ق: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**.

٣. الشاهد الثالث هي الأماكن، وهذا ما صرحت به الآية ٤ من سورة الزلزال: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾**. نعم سيشهد علينا يوم القيامة كل شبر في الأرض مشينا عليه.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٣٧٩.

٢. سورة يس، الآية ٦٥.

٤. الزمان أيضاً أحد شهود يوم القيامة وكما في الرواية المذكورة؛ حيث يستفاد من هذه الرواية أنّ كل يوم شاهد مستقل. وعليه فسيشهد في كل سنة ٣٦٥ شاهد زماني!!

والعجيب أنّ هذا الشاهد يحذر الإنسان كل يوم ولكن هل هنالك من يسمع؟!

٥. الشاهد الأخير على أعمال الإنسان، الأنبياء لكل أمة، جاء في الآية ٤١ من سورة النساء بهذا الخصوص: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾**، فالويل لمن يعتقد بعدم وجود الحساب، فما أن تطرح الحجب ليرى العديد من الشهداء يشهدون عليه. كيف هذه الغفلة مع كل هذه الشهادات؟! لو راقب الإنسان مأموراً لانتبه لنفسه. فكيف يتمهل أمام مأمور يخطيء ولا يتريث ويعيش حالة من الغفلة أمام هؤلاء الشهود الذين لا يخطئون قط.

٦٥

الكلام والسكوت

قال الإمام علي عليه السلام: «لا خير في الصمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل».[1]

الشرح والتفسير

أخذ الله عهد أولئك الذين يعلمون، عدم الصمت إزاء الانحراف والاعوجاج والظلم وهضم الحق وسموم الأعداء ليضيئوا القلوب ويفيضوا عليها نورالهدى بمنطقهم وبيانهم المستدل المتين (فكل إنسان مسؤول بقدر مالديه من علم وإن قلّ) كما لا ينبغي أن ينبري من لا يعلم ليقود الناس إلى الضلال. فذلك الصمت وهذا الكلام كلا هما يؤدّي إلى البؤس والشقاء[2]. ويستفاد من هذه الرواية أنّه لا الصمت لكل شخص وحيثما كان يعد قيمة وإلّا الكلام للجميع وأينما كان. بل التحدث والتكلم من الأمور النسبية تقيّم من خلال الأفراد والأزمنة والأمكنة.

فربما كان كلام شخص من أهم الواجبات وكلام آخر من أسوأ المحرمات! ولعل صمت إنسان في موضع، عبادة وكلام نفس هذا الإنسان في موضع آخر، عبادة.

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ١٨٢ و ٤٧١.

٢. مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٤٠.

وفعلى المؤمن العاقل والفطن أولاً: أن يلم بقدر من المعلومات بشأن كل موضوع يهمّ بالتحدث فيه. وثانياً: أن يشخص الموقع والمكان وإلّا لابدّ أن يصمت[١].

١ . راجع مختلف الأبحاث المتعلقة بالصمت والكلام ومنها: الصمت واستقامة اللسان والصمت في آيات القرآن والصمت في الروايات الإسلامية وأخطار اللسان والأصول الكلية لرفع أخطار اللسان وسائر المباحث في كتاب الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ٢٩٨.

٦٦

نهاية الحياة

قال الإمام علي عليه السلام: «استعدوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا».[١]

الشرح والتفسير

رسم الإمام عليه السلام بهذه العبارات الثلاث العميقة المعنى ختام حياة الأنسان، كما حذر من حقيقة الدنيا وماهيتها والخطر الكامن فيها المحفوف بالموت بغية يقظة الإنسان وهدايته. والعبارة: «فقد أظلكم» تقال حين وقوع حادثة في غاية القرب وليست هنالك من مسافة تبعد عنها. فإن قيل: أظلتك الشجرة وإنّك مستريح في ظلها، معنى ذلك أنك قريب جدّاً من تلك الشجرة. وترد بشأن هذه العبارة ثلاثة أسئلة».

السؤال الأول: هذا الظل كناية عماذا؟

الجواب: يمكن الاشارة إلى عدّة أمور ومنها الحوادث التي تعتري حياة الإنسان ومختلف الأمراض وموت الفجأة والسكتة والزلازل والأحداث وما شابه ذلك.

السؤال الثاني: إن كان الأمر كذلك والموت قريب ولابدّ من التأهب له فكيف يحصل هذا التأهب؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

الجواب: لابدّ أن نستعد للموت من خلال التوبة وتهذيب النفس وأداء الديون وحقوق الناس والإتيان بالصالحات ومساعدة الناس وذكر الله على كل حال وما شابه ذلك من أمور.

السؤال الثالث: مَن خوطب بكلام الإمام عليه السلام ؟

الجواب: مايستفاد من العبارة «فقد أظلكم» أنّ مخاطب الامام عليه السلام جميع الناس وقد ألقىٰ الموت بظلاله على الجميع.

ولعل موت الفجأة في هذا العصر طبق وجهة نظر، من ألطاف الله! بمعنى حيث ازدادت أسباب الهوى بالنسبة للماضي وأغفلت الإنسان عن الموت فإن موت الفجأة يفيقهم من الغفلة. «وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا» إشارة الى الجماعة والقافلة التي نامت ليلاً ودقّ مرشد القافلة جرس الخطر فجأة وأمر بالرحيل، فنهض أهل القافلة من النعم ونظروا حولهم ليظفروا هناك بموضع السفر لا البقاء! فالإنسان والدنيا كأهل هذه القافلة وموضع السفر. من الذي يصرخ بأهل القافلة؟ قال عليه السلام: «كفى بالموت واعظاً»[1] فما الذي يقوله الموت بلسان لا لغة فيه؟ الموت إنطفاء، لكنه مليىء بالضجيج. وعليه فالموت والوفاة والمقابر والأمراض ومختلف الحوادث وكل هذه الأمور ناقوس خطر ويصدح بالحركة ولكن لا أذن تسمع للأسف. «وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا» فإن أفقتم من نوم الغفلة وفهمتم أنّ الدنيا كمكان نوم المسافر ولا مجال للبقاء فيه فاستبدلوا دنياكم بالآخرة ولا تتوقفوا وواصلوا حركتكم مع القافلة بإعداد الزاد والمتاع. فمّا لا شبهة وشك فيه أننا جميعاً نُحمل مع هذه القافلة وهي سائرة لا محالة للموت. فما أحرانا أن نفيق من سبات الغفلة ونعدّ الزاد اللازم لهذا السفر.

---

١ . بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٣٢. كما وردت هذه الرواية في بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٩ و ج ٧١، ص ٢٦٤ و ج ٧٣، ص ٣٢٢ و ج ٧٧، ص ١٣٧ و ٣٨٨.

٦٧

عاقبة المتقين والآثمين

قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وأنّ الخطايا خيلٌ شُمس، حمل عليها أهلها، وخُلعت لجمعها، فتقحمت بهم في النار. ألا وأنّ التقوى مطايا ذلك، حُمل عليها أهلها، وأُعطوا أزمتها، فاوردتهم الجنّة».[1]

الشرح والتفسير

التشبيه المذكور أروع تشبيه يمكن بيانه لعاقبة التقوى وعدمها. حقاً إنّ عدم التقوى كالحصان الجامح يصعب على فارسه التحكم به؛ لأنّها تفرز أحياناً العديد من المعاصي ولا تزال به حتى لا يبق له من موضع سوى جهنم. وأفضل شاهد على ذلك قصة الشاب الذي رأى الشيطان في المنام فطلب القيام بأحد ثلاثة أعمال: يقتل أباه أو يضرب أخته أو يشرب الخمر. فاختار الشاب شرب الخمر ليتجنب قتل أبيه وإيذاء أخته، لكنّه فقد عقله حين الشرب وخرج من طوره فقتل أباه وضرب أخته[2]. حقاً إنّ المعاصي كذلك، فالمعصية كالمستنقع تبتلع العاصي بالتدريج حتى يرى نفسه غرق فجأة ولا يسعه فعل شيء، إلّا أن يتلطف عليه الله. فالمعصية لا تخرب آخرة الإنسان فحسب، بل تخرب دنياه. وعليه

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

٢ . الشيطان عدو الإنسان العريق، ص ١٩٠.

فالذنب ليس بمركب مناسب للآخرة ولا للدنيا. ومن هنا أمرنا أن نحاسب أنفسنا كل يوم لكي ننقذ أنفسنا إن ركبنا لا سامح الله هذا المركب الجامح قبل أن يجد في السرعة ويخرج عن سيطرتنا.

إلهي إننا ضعفاء والطريق شاق وطويل لاطاقة لنا به دون لطفك ورحمتك فأخذ اللّهم بأيدينا.

حضور مجالس الفجور

قال الإمام علي عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة».[1]

الشرح والتفسير

لمفردة الريبة معنيان:

أ) الشك والترديد والإتهام؛ أي أنّ المؤمن لا يذهب إلى مكان يتهم فيه. ولهذا لم يطأ الأولياء والأتقياء تلك الأماكن، وإن قصد إنسان تلك الأماكن وساء الآخرون الظن به فلا ينبغي أن يلوم إلّا نفسه كما عبرت الرواية[2].

ب) المعنى الآخر للريبة ماورد في بحث النظر والنكاح. قيل هناك يجوز النظر إلى وجه الأجنبية ويدها بشرطين؛ الأول أن لا يكون بقصد اللذة والآخر أن لا يكون نظر ريبة؛ أي لا يكون فيه خطر الوقوع في الذنب والمعصية. وعلى ضوء هذا المعنى لا ينبغي أن يذهب المؤمن إلى مجلس فيه خطر وقوع المعصية والانحراف. وهنالك العديد من الروايـات التي نهت عن الحضور في مجلس المعصية[3]. وهناك عدة أدلة عقلية ومنطقية على ذلك:

١. التواجد في مجلس المعصية وإن لم يذنب فيه الإنسان، إمضاء وتأييد لذلك المجلس

---

١. أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٧٨، كتاب الايمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح ١٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٩١.

٣. راجع بعض هذه الروايات في ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٥٤، الباب ٥١٩.

وتتضاعف هذه المعصية بالنسبة للمعروفين من الأفراد والروحانيين.

٢. تنتهك حرمة الذنب لديكم ولدى الآخرين. ونموذج ذلك مجالس زفاف عصرنا حيث يشكل حضور المؤمن فيها. فلا ينبغي أن يحضر المؤمن هذه المجالس ويبيّن صراحة سبب ذلك فيقول: «إنني أحبّكم إلّا أني أحبّ الله أكثر ومسؤوليتي الشرعية أعظم من حبّي لكم».

٣. الحضور يشجع الآثمين على مقارفة الإثم، فإن تفرج شخصين على شخص يرقص يختلف عن مائة يتفرجون. فالمطرب والعازف يتشجع أكثر حين يرى حوله زحمة من الناس. جاء في الخبر بشأن الآية الشريفة ٣٠ من سورة الحج: **﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾** أن قولهم للمغني أحسنت يعتبر من قول الزور.[١] وعليه فلا يجوز تشجيع الآثم ومجلس الإثم والفجور سواء بالحضور أو التشجيع اللفظي.

٤. إنّ وساوس الشيطان تصيب بالتدريج الشخص الحاضر، فمن يضمن عدم تلوث الإنسان حين حضوره في مجالس الفجور؟ فالأفراد الذين يبتلون بالمخدرات إنّما يحضرون باديء الأمر فقط هذه المجالس لكنهم سرعان ما يبتلون بها ويدمنون عليها.

---

١ . أنوار الفقاهة، كتاب التجارة، المكاسب المحرمة، ص ٣١٣.

٦٩

سيف العقل وغطاء الحلم

قال الإمام علي﵇: «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك».[١]

الشرح والتفسير

إقترنت قوتان مع بعضهما في جميع عالم الوجود؛ قوة دافعة وأخرى طاردة. وتوازن هاتين القوتين يؤدّي إلى النظام في عالم الوجود. فهنالك قوة دافعة في السماوات توجب حركة سيارات المنظومة الشمسية (قوة الهروب من المركز) وأخرى توجد حالة التوازن هي قوة الجاذبية. وهاتان القوتان موجودتان لدى الإنسان. فبعض الأعصاب قوّة محركة وبعضها الآخر جاذبة وتدعوان إلى توازن جميع أعضاء الإنسان. فالأعصاب السميثاوية والبارا سميثاوية عنصران محرك وجذب داخل بدن الإنسان ويستفيد الأنبياء في دعوتهم من هاتين الوسيلتين، وبتعبير القرآن كانوا مبشرين ومنذرين، يعدون بالجنّة ويحذرون الناس من عذاب نار جهنم. وهكذا قوانين الشريعة المقدسة والتشجيع الإسلامي كذلك القسم من الزكاة المخصص للمؤلفة قلوبهم[٢] قوة محركة. وقوانين العقوبات الإسلامية من

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٢٤.

٢. المراد من المؤلفة قلوبهم الواردة في الآية ٦٠ من سورة التوبة: الأفراد ضعاف الايمان ويرجى تقويته بالزكاة ويرغبون بالإسلام.

قبيل القصاص والديات والحدود قوى جاذبة. على كل حال مجموع العالم توازن هـاتين القوتين. والرواية المذكورة تصرح بهذا الموضوع على أنّ للإنسان قوتين العقل والحلم، قوّة العقل المحركة كالسيف القاطع تسوق إلى الحركة وقوّة الحلم الجاذبة التي تسيطر على أعمال الإنسان فاقمع الهوى والهوس بسيف العقل القاطع واستر نقص الخلق بقوة الحلم. ولو مزج الناس هاتين القوتين لكان المجتمع سليماً معافى.

ضرورة انتخاب القدوة

قال علي عليه السلام: «ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً، يقتدى به ويستضيىء بنور علمه». [1]

الشرح والتفسير

طبيعة كل إنسان التأسي بالقدوة، ومن هنا فإنّ الإنسان الذي لا يظفر بالأسوة الواقية يعيش التبعية للقدوة السيئة. ولذلك من الله على المؤمنين أنّه بعث رسولاً من جنسهم لا من الملائكة كما صرحت الآية ١٦٤ من سورة آل عمران. وسرّ هذا المطلب التأسي بالقدوة، لأنّ كل جنس يمكنه الإقتداء بمن شاكله. وهذا ما أشارت إليه الرواية المذكورة. فهناك مطلبان في هذه الرواية: الأول: تشبه الناس في أعمالهم بإمامهم. والثاني: الاستفادة من نور معرفته وهداه في المسائل العلمية. وعليه وردت الوصية بالتأسي في العمل وكذلك العلم، وأساس أحد أسرار لزوم أن يكون للناس إمام وإن الأرض لا تخلو من حجة الله قط [2]. ضرورة اقتداء الناس بالأسوة. وهنا يفتح أحد ميادين وساوس الشيطان وتطرح النماذج الشريرة كأسوة.

---

١ . نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

٢ . قال علي عليه السلام بهذا المجال: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته». نهج البلاغه، قصار الكلمات، ١٤٧.

وبالنظر لضرورة وجود الأسوة الحسنة والميل الطبيعي للناس نحو التأسي وعرض النماذج السيئة من قبل الشياطين تتأتى ضرورة الأسوة الصالحة وإحيائها وبثها في صفوف المجتمع. وتتضح هذه النقطة في أنّ التعريف بالأسوة وبثها في المجتمع حاجة ضرورية للمجتمع، لا أنّ الأسوة بحاجة لهذا التعريف[١].

١. راجع شرح الأبحاث المتعلقة بالأسوة والقدوة في كتاب الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ٣٦٥.

٧١

طعم الإيمان

قال الإمام علي عليه السلام: «لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان، حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التقدير في المعاش».[١]

الشرح والتفسير

هل للإيمان طعم خاص يمكن تذوقه؟

الجواب عن هذا السؤال واضح، فحين يراد بيان الإحساس التام بالشيىء عادة ما يعبّر عنه بالطعم. والمراد من تذوق طعم الإيمان إدراكه بجميع الوجود والشعور باستقرار الروح والاطمئنان في ظل الإيمان، وذلك الاستقرار والنور والمعنوية والحالة الخالصة التي يعجز عن وصفها كل لسان هي تلك اللذة الروحية وحالة إنشراح القلب والصفاء والنور الذي يتعذر وصفه، مهما عبّر عنه كان عليلاً وهو حقاً لا يوصف ولا يدرك. وهنا لابدّ أن نرى ماالعلاقة بين هذه الخصال الثلاث وطعم الإيمان.

أ) الفقه في الدين، أنى للإنسان بالاعتقاد المحكم والالتزام العملي بالنسبة لأحكام الدين مالم يمتلك المعرفة التامة بمختلف المسائل الدينية، ومالم يحصل الإيمان والعمل المناسب فلا يمكن تذوق طعم الإيمان.

---

١. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٠ و ج ٦٨، ص ٨٥ و ٣٤٦.

ب) الخصلة الثانية التي لا يتذوق دونها طعم الايمان هي الصبر عند المصائب. فما أكثر الأفراد الذين ينحنون مقابل المصائب والأحداث المريرة ويتشاءمون من جميع الكائنات ويعترضون على الله قلباً أولساناً! فكيف لهؤلاء الأفراد أن يذوقوا طعم الايمان؟ والحال للمصائب والصعاب فلسفة واضحة يدركها المؤمن الحقيقي. فربّما تكون المصائب تحذيراً للإنسان حين الغفلة، وربّما تكون كفارة لذنوبه ومعاصيه، وفلسفة أخرى لا مجال لبحثها،[١] وكل ما ينبغي أن تعلمه أنّه ليست هنالك من حادثة اعتباطية دون علة في هذا العالم.

ج) وحسن التقدير في المعاش، ورابطة طعم الإيمان بحسن التقدير في المعاش في أنّ الشخص إذا لم يكن له مشروع اقتصادي صحيح في حياته ومعاشه ونفقاته اليومية ويعاني من المشاكل والذنوب والإسراف والإفراط فهو لا يتمكن قط من تذوق طعم الإيمان.

والنتيجة أنّ طعم الايمان في ظل المعرفة الدينية والصبر على المصائب وتحمل المشاكل والمنهج الصحيح في مجال المعاش.

---

١. راجع هذه المباحث في كتاب أصول العقائد، ص ٩٣.

الغرام مانع المعرفة

قال الإمام علي عليه السلام: «من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه».[1]

الشرح والتفسير

تشير هذه العبارات إلى مسألة مهمّة بالنسبة لجميع الناس، وهي أنّ الإنسان يمكنه سلوك الطريق القويم في حياته حين تكون لديه معرفة صائبة للحق والباطل والصحيح والفاسد ولحسن الحظ قد زود الله الجميع بوسائل المعرفة: **﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾**[2]. إلّا أنّ هذه الوسائل تتبدل أحياناً إلى موانع وحجب عن المعرفة فتعطي في هذه الحالة نتيجة معكوسة. وموانع المعرفة كثيرة شرحناها في نفحات القرآن في الجزء الأول[3].
وأحد هذه الموانع الغرام بالوسائل غير الواقعية التي أشير إليها في هذا الحديث. وقد جرب هذا الأمر كل شخص في حياته الشخصية. فقد رأينا البعض أحياناً ممّن ابتلى بالغرام يمارس الذنب تحت غطاء العبادة! وهذه المسألة واضحة بينة سيا في التيارات الحزبية والسياسية.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

٢. سورة النحل، الآية ٧٨.

٣. نفحات القران، ج ١، ص ٢٩٦، المباحث المتعلقة بموانع وآفات المعرفة.

وعليه يجب علينا أن نراعي الإتزان في جميع المسائل بما فيها الحب والغرام بالإستلهام من وصايا الإمامعليه السلام النورانية لكي لانصاب بعوارضه السيئة ولا يكون الغرام كالحجاب الضخم المانع لمعرفة الحقائق.

العقول الأسيرة للشهوة

قال الإمام علي عليه السلام: «وكم من عقل أسير تحت هوى أمير».[1]

الشرح والتفسير

هنالك قوتان لدى كل إنسان:

١. قوة العقل التي ينبغي أن تكون أميرة على جميع الأعضاء والقوى والمشاعر.

٢. الميول والشهوات النفسية التي ينبغي أن تكون أدوات العقل التنفيذية وتحت أمره.

ولو استعمل كل من هاتين القوتين بموضعها لحصل كلما ينتظره الله من الإنسان ويصبح بحق خليفة الله. أمّا إن حصل العكس وتأمر الهوى وخضع العقل له كوسيلة وأصبح أسير الميول والشهوات فمثل هذا الإنسان ينحرف من مسار الحق وربما يزداد هذا الإنحراف فيبتعد هذا الإنسان عن الصراط ليصبح كالأنعام بل أسوأ[2].

نعم إن كان العقل بمنزلة الأب العظيم التجربة في أسرة، أسير ميولات ومراهقة الشبّان السذج وعديمي التجربة والمليئين بالشهوات فسوف لن تسلم هذه الأسرة من أية أخطار! وعليه إن أردنا الفوز بعناية الله فلابدّ أن نحكم ونؤمِّر العقل في الأسرة والمجتمع، بل في جميع

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٢١١.

٢. اشير لهذا المطلب في سورة الأعراف، الآية ١٧٩ وسورة الفرقان، الآية ٤٤.

أنحاء العالم وتحرّره من قيود الأهواء. فلا شك في هذه الحالة سيتبدل العالم الذي يمثل في الظروف القائمة جهنّم إلى بستان رائع. وسيكون لجميع الناس حياة وادعة آمنة خالية من القلق وانتهاك حقوق البعض الآخر.

٧٤

العقول النيرة والأبصار الحادة

قال الإمام علي عليه السلام: «أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى! أين القلوب التي وهبت لله، وعوقدت على طاعة الله».[١]

الشرح والتفسير

هنالك محوران مهمّان في وجود الإنسان؛ الأول: محور العقل والعلم الذي يدرك الإنسان بواسطته الحقائق. الثاني: محور العواطف والمشاعر. والمراد من العواطف، الدوافع غير المستندة للدليل الأساس للحركة والمدعاة للنشاط وإن هديت أعطت نتائج مطلوبة. ومايدركه الإنسان من أنّ اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، فهذا علم؛ إلّا أنّ حبّه لولده ليس بعلم، بل عاطفة. وإن صلح الإثنان (العلم والعاطفة) أي العلم المستند للمبدأ الإلهي وضبطت العواطف حسب الموازين كمل الإنسان. وقد عيّن عليه السلام ضابطة في هذه الرواية لتكامل المحورين. طبق وصية الإمام عليه السلام في العبارة الأولى إن اهتدى العقل وكان الله هاديه وصوّب الإنسان بصره للتقوى وسيطر بهذه التقوى على مشاعره وغرائزه حصل الشرط الأول.

وفي العبارة الثانية بيّن أنّ معيار العواطف والدوافع هو الإخلاص وطاعة الله؛ أي أن

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

نجعل القلب له ولا نعاهد سواه ولا نعبد غيره. طبعاً الشرط الثاني أعقد. كما قال المثل المعروف «من السهل أن تصبح عالماً لكن من الصعب أن تكون إنساناً».

اللّهم إننا استودعناك أنفسنا فوفقنا لما فيه رضاك.

٧٥

العلم واليقين

قال الإمام علي عليه السلام: «لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فأقدموا».[1]

الشرح والتفسير

توجد في روح الإنسان أمور مختلفة؛ أحدها الإدراك المسمى بالعلم، والآخر اليقين.

سؤال: ماالفرق بين العلم واليقين؟

الجواب: العلم هو الإدراك سواء أقره القلب والروح الإنسانية أم لا.

ولكن إن علم الإنسان بشيء وصدق القلب ذلك العلم وسلّم له سمي يقيناً. وقد صرحت الآية ١٤ من سورة النمل بذلك: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾**. فقد علم فرعون بالله سيما بعد مشاهدته لمعجزات موسى عليه السلام وكان يعلم أنّه خالق عالم الوجود وجميع الكائنات، لكنّه لم يوقن بهذا الموضوع ولم يسلّم له. وقد قيّم الإمام عليه السلام في هذه الرواية العلم واليقين على أساس آثارهما. ومن هنا فالعلم الذي لا يعمل به هو جهل، واليقين على الذي لا يدعو إلى الإقدام هو شك وترديد؛ لأنّ من يدّعي مثلاً اليقين بالقيامة ولكن لا أثر في أعماله، لم يوقن في الواقع بالقيامة. وعليه في الثقافة الإسلامية لكل

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٢٧٤.

شيء قيمة حين يتحقق في العمل ويفعّل ولاقيمة في الإسلام للشيء الذي لا عينية له وليس له سوى بعد نظري وذهني.

سؤال: لم لا يعمل بالعلم واليقين؟

الجواب: يمكن الإشارة في الإجابة عن هذا السؤال إلى عاملين:

١. ضعف العلم واليقين بأمر ما من عوامل عدم العمل بذلك الأمر الذي لدينا علم به. فإن علمنا حقاً أنّ أكل مال اليتيم كأكل النار[١] لما اكلنا مال اليتيم قط. إذن فاهتزاز عرى الإيمان وضعف المباني العقائدية والعلمية يوجب عدم تجلي الإيمان في العمل.

٢. أحياناً يحول الهوى والهوس الجامح دون العمل بالعلم واليقين، فقد يكون الهوى قوياً أحياناً كالسيل الجارف الذي يحطم سد العلم واليقين، وللحيلولة دون هذه الخسائر لابدّ من ترسيخ وإحكام عرى الإيمان واليقين حتى تبلغ مرحلة لا يسع أي سيل تحطيم سدّ الإيمان واليقين.

---

١ . قال النبي صلى الله عليه وآله: «رأيت في المعراج جماعة تدخل النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم. فسألت جبرئيل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً». ميزان الحكمة، الباب ٤٢٣٨، ح ٢٢٥٩٠.

٧٦

علي عليه السلام على لسان علي عليه السلام

قال الإمام علي عليه السلام: «الله قد أعطاني من العقل مالو قسم على جميع حمقاء الدنيا ومجانينها لصاروا به عقلاء، ومن القوّة مالو قسم على جميع ضعفاء الدنيا لصاروا به أقوياء، ومن الشجاعة مالو قسم على جميع جبناء الدنـيا لصاروا به شجعاناً».[1]

الشرح والتفسير

حين هجم خصوم الدعوة الإسلامية في «ليـلة المـبيت»[2] عـلى دار النـبي صلى الله عليه وآله ورأوا علياً عليه السلام نائماً مكانه قال البعض: اقتلوا علياً! فقال أبوجهل: دعوا هذا المسكين فقد خدعه محمّد. فذكر الإمام علي عليه السلام هذه العبارات ليعلموا من يقاتلوا وكلامهم خطأ. وبالنظر إلى أنّ علياً عليه السلام لا يمدح نفسه وليس مبالغا، نفهم أن وجوده كتلة من العلم والعقل والشجاعة بقدر العالم؛ أي أنّ الله جمع العالم في إنسان. الموضوع الآخر أنّ علياً عليه السلام لم يتخلّ عن النبي صلى الله عليه وآله في أحلك الظروف، والميادين المريرة على عهد النبي صلى الله عليه وآله لم تكن قليلة، لكن كانت له ثـلاثة مواقف في ثلاثة مواطن بلغت ذروة الخطر: ١. ليلة المبيت ٢. غزوة أحد ٣. غزوة الخندق.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٨٣.

٢. ذكرنا شرح قصة ليلة المبيت في كتاب آيات الولاية في القرآن.

فلما رجع علي عليه السلام من أحد وجسمه مثخن بالجراح أخبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه تـلـقى عـدّة ضربات كانت أقواها ست عشرة ضربة حتى وقع على الأرض أربع مرات فكان شخص عظيم يرفعه ويقول له: دافع عن النبي! فمن ذاك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: أبشر ياعلي فهذا جبرئيل الأمين[١]. ومشهورة قصة مبارزة علي عليه السلام لعمرو بن عبدود يوم الخندق، فـاعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله ضربة علي عليه السلام أفضل من عبادة الثقلين، حيث لم يكن أحد مستعداً لمواجهة عمرو بن عبدود، فهزمه الإمام علي عليه السلام وأدخل الرعب في قلوب خصوم الدعوة[٢].

نعم، لم يترك علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في أحلك الظروف فكان إلى جانبه يبذل له نصرته. وإننا لنفخر بعلي عليه السلام الإمام الأول للشيعة، لكن هل يكفي الفخر بفضائل علي عليه السلام وليست لدينا من وظيفة إزاء ذلك؟ الحق أنّ فضائله عليه السلام تقلّدنا مسؤولية، وعلينا أن نحاكيه في صـفاته ونطبق بعضاً منها على الأقل في أنفسنا.

---

١ . راجع شرح الوقائع المتعلقة بموقعة أحد في كتاب بينات خالدة، ج ٢، ص ٢٧.

٢ . راجع تفاصيل موقعة الخندق واسمها الآخر الأحزاب في بينات خالدة، ج ٢، ص ١٢١.

٧٧

علي عليه السلام يصف نفسه بالسراج

قال الإمام علي عليه السلام: «إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها».[١]

الشرح والتفسير

تطالعنا بعض العبارات في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام بحيث يتصور بعض الجهال أحياناً أنّها كلمات مديح للذات. والحال هنالك فارق واضح بيّن مدح الذات والتعريف بها. فإنّك أحياناً تعرّف شخصاً، لكنه يندفع لمدح نفسه على أساس الأنانية والغرور، فهذا العمل مذموم وقبيح. ولكن ربّما لا تعرف ذلك الشخص وهو يعرف بنفسه ويبيّن مهارته في تخصصه ليتسنى للآخرين الاستفادة منه، فهذا ليس مدح الذات ولا مذموم. وما ورد بشأن المعصومين عليهم السلام من قبيل القسم الثاني، لا الأول. وقد خاض علي عليه السلام في روايات أخرى بالتعريف بنفسه[٢]. مثلاً جاء في الرواية أنّه قال لكميل وأشار إلى صدره «إنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة»[٣] وقال عليه السلام: «أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧.

٢. ألفت كتب بهذا الخصوص ومنها كتاب «علي من وجهة نظر علي».

٣. نهج البلاغه، قصار الكلمات، ١٤٧.

فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض».[١] وأخيراً صرّح في هذه الرواية إنني فيكم بمنزلة السراج الذي يضيىء في الظلمه والذي يرد فضاء هذا السراج يمكنه الاستفادة من نوره. فالرواية تشير إلى نقطة مهمّة، وردت الإشارة إليها في روايات أخرى وبعض الآيات القرآنية: وهي أنّ الرقي والسمو يستند إلى دعامتين: ١. فاعلية الفاعل ٢. قابلية القابل. فلو كانت هناك أحدث الوسائل المتطورة بينما لا يستغلها الإنسان حيث لا قابيلة له فلا فائدة فيها. فليس هنالك أعظم نوراً من الشمس، إلّا أنّ الأعمى لا يسعه الاستفادة منها، ذلك لأنّه لا قابلية له. ولو سقينا أرضاً مالحة بأفضل المياه وطرحنا فيها أحسن البذور وكان القائم عليها أمهر المزارعين لما حصلنا منها على شيء؛ لأنّها أرض مالحة ولا قابلية فيها للاستفادة.فقد كان هنالك العديد من الأفراد إلى جانب الأنبياء حتى آخر عمرهم لكنهم ماتوا على الكفر؛ لأنّهم لم يمتلكوا قابلية تلقي نور الهدى كما جاء في أول سورة البقرة أنّ القرآن الكريم هدى للمتقين، لا لجميع الناس؛ أي هادٍ للأفراد الذين لديهم قابلية الهدى. والقابليات متفاوتة بالطبع وكل ينهل من الفيض الالهي حسب قابليته. قال تعالى: **﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾**[٢].

سؤال: كيف نضاعف القابلية؟

الجواب: القابليات نوعان: بعضها ذاتي والآخر اكتسابي. والنوع الأول لا يمكن مضاعفته. أمّا النوع الثاني فيمكن مضاعفته من خلال التوبة والورع والتقوى والمداومة على ذكر الله وطرح الحجب وحضور حلقات العلم والمعرفة والمطالعات المفيدة واختيار الصديق الصالح والوسط النظيف وماشاكل ذلك.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

٢. سورة الرعد، الآية ١٧.

يوم العيد

قال الإمام علي عليه السلام: «كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد».[1]

الشرح والتفسير

العيد قسمان: عيد «تشريعي» وعيد «تكويني».

العيد التشريعي هو العيد الذي أقره الله ويقترن حتماً بانتصار. وربّما يكون هذا الإنتصار على هوى النفس كعيد الفطر السعيد إثر غلبة الإنسان لهوى نفسه في شهر رمضان المبارك. وربّما التوفيق في أداء مناسك الحج، مثل عيد الأضحى المبارك، وربما نصر بنصب الإمام الحق وتحقق الولاية التي تبلورت في عيد الغدير. أمّا الأعياد التكوينية فنوع من العودة إلى عالم الطبيعة مثل عيد النيروز فهو عيد طبيعي تماماً.

وبالنظر لما تقدم يرى الإمام علي عليه السلام أنّ كلّ يوم يوفق فيه الإنسان لغلبة هوى النفس والتمرد على طاعة الشيطان ومعاداة عدوه اللدود وبالتالي لا يعصي الله فيه فهو عيد. واستناداً لهذه الرواية وما فيها من توضيح يمكن أن يكون عيد النيروز عيداً، لكن ليس بعيد تشريعي. والروايات الواردة بهذا الخصوص ليست معتبرة.[2] ولعيد النيروز عدة أبعاد

---

١ . نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٢٨.

٢ . راجع بعض هذه الروايات في ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١٣٢، الباب ٣٠٠٦.

سلبية وإيجابية؛ وأبعاده الإيجابية: النظافة وصلة الرحم ومساعدة الطبقات المحرومة والضعيفة. وأبعاده السلبية: مراسم يوم الأربعاء الخرافية ومايسمى بيوم الثالث عشر والتشريفات المفرطة والأسفار الملوثة وانتهاك حدود الحرمات وأمثال ذلك. فإن استغرق في أبعاده الإيجابية واجتنب أبعاده السلبية فإنّ عيد النيروز الطبيعي حسب الرواية المذكورة عيد تشريعي، وإن عكس الأمر لا سمح الله فإنّ مثل هذا اليوم حسب علي عليه السلام ليس بعيد. والطريف أنّ الإسلام سعى بتعامله مع هذه الآداب والسنن أن يهذبها ويسوقها إلى الجوانب الإيجابية أو يقضي على أبعادها السلبية من خلال تفسيرها بصورة حديثة؛ فمثلاً للإسلام تفسير خاص بشأن مايقال «للمرأة الفلانية قدم سيىء» حيث ورد في الرواية «من بركة المرأة قلة مهرها ومن شؤمها كثرة مهرها»[١] وهذه نقطة رائعة في التعامل مع سنن وعادات وتقاليد الآخرين.

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٥، أبواب المهر، الباب ٥، ح ٨.

٧٩

الغفلة

قال الإمام علي عليه السلام: «كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه ويبني بيته ليسكنه وإنّما هو موضع قبره».[١]

الشرح والتفسير

السؤال: الغفلة نعمة أم بلاء؟

الجواب: الغفلة من جانب تُعدّ من النعم الإلهيّة؛ لأنّ الحياة متعذرة دون الغفلة. فتصور الأسرة التي تفقد ولدها العزيز، فلو تواصل حزنها وألمها زمناً طويلاً على فقد ولدها لتكدّرت حياتها وأصبحت جحيماً، ولكن سرعان ما تطرح على هذه المصيبة حجب الغفلة بصفتها نعمة إلهية لينسوها شيئاً فشيئاً. وهكذا في سائر المشاكل، كالغدر والخيانة والضرر والخسارة والهزيمة وما شابه ذلك فإنّ الغفلة تساعد الإنسان في ذلك. وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل[٢].

طبعاً إن خرجت هذه النعمة الإلهيّة من حالة الإعتدال لتحولت إلى بلاء؛ فالنسيم نعمة؛ لأنّه يغيّر وضع الهواء من مكان لآخر ويقضي على السموم ويلقح الأزهار ويثمر ويورق

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٣٨٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٣، ص ٥٧، فصاعدا.

الأشجار، لكنّه إن خرج من الإعتدال وتحول إلى عاصفة لأصبح مصيبة كبرى. وعليه فالنسيم بصورته المعتدلة نعمة وإن خرج من حده فهو بلاء. والغفلة كذلك. فإن غفل الإنسان عن خاتمة الحياة والموت والله والمعاد كان شقياً وقد يقود إلى أضرار لا يمكن تلافيها؛ كأن يغفل الإنسان حتى أواخر حياته ولا يفيق من هذه الغفلة سوى بالموت حيث لا مجال لتدارك ما مضى.

سبل مكافحة الغفلة:

أوصى أولياء الله الناس بضرورة القضاء على الغفلة، وذكر الموت يعد أحد سبل مكافحة الغفلة، وما جاء في الخبر: «إجعل وصيتك تحت رأسك كل ليلة»[1] لتحقيق هذا الهدف. وقد ركز الإمام عليه السلام على هذا المطلب في هذه الرواية فأراد إيقاظ الغفلة بواسطة ذكر الموت. فقال عليه السلام طبق هذه الرواية: «كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه» سيا في زماننا وعصرنا الذي راج وتفاقم فيه الموت. ويبني الشخص الغافل بيتاً ويغطي نفقاته من أي طريق ليسكنها ويعيش فيها، وقد غفل عن أنّ ذلك البيت مقبرته وموضع دفنه. وتشهد بعض المقابر الكبرى العديد من القبور التي أعدت من قبل حفاري القبور، وربّما كانت تلك القبور قبورهم التي يدفنون فيها دون غيرهم. والنتيجة أنّ الغفلة بحدها الطبيعي نعمة وإن خرجت من الإعتدال تحولت إلى بلاء.

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٥٢، ح ٥ و ٧.

الغيبة عجز

قال الإمام علي عليه السلام: «الغيبة جهد العاجز».[1]

الشرح والتفسير

قلّما كان من الكبائر كالغيبة علامة الوضاعة والضعف والذلة والعجز. وأولئك الذين يخوضون في ذم الآخرين وعيوبهم من خلفهم ويزيلون ماء وجوه الآخرين بإفشاء عيوبهم المستورة، وعادة ما يبتلى الناس بأحد هذه العيوب ويطفئون بهذه الطريقة نيران حسدهم وعداوتهم فهم عجزة ولا شخصية لهم. جاء في الحديث[2] أن من يغتاب ويتوب آخر من يدخل الجنة وإن لم يتب فأول من يرد جهنم[3]. وشبهت الغيبة في الآية ١٢ من سورة الحجرات بأكل لحم الأخ المسلم الميّت[4]. وجاء في حديث آخر أنّ ثواب أعمال المغتاب يوم القيامة تنتقل إلى صحيفة أعمال من اغتابه فإن لم يكن له ثواب انتقلت ذنوبه إلى من

---

١ . نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٦١.

٢ . بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٢٢.

٣ . مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٦٠.

٤ . راجع المباحث المتعلقة بالآية المذكورة وبعض المطالب المرتبطة بالغيبة في كتاب الأمثال القرآنية، الجزء الثاني.

اغتابه[1]. وبالنظر لما تقدم فالعاقل لا يغتاب قط؛ لأنّ من يغتابه إمّا صديقه أو عدوه. فإن كان صديقه فالعاقل ليس مستعداً مهما كانت الظروف لأنّ يأكل لحم صديقة الميت، وإن كان عدوه فلا يرضى قط أن تنقل إليه حسناته يوم القيامة أو أن يتحمل عذاب ذنوبه.

وعليه فالعقل السليم يحكم بضرورة تطهير الحياة من هذه الكبيرة بالتعاون على البِرّ والتقوى وإنقاذ المجتمع من سوء عواقب هذه الكبيرة.

---

١. المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٢٧٣.

٨١

الفارق بين العاقل والجاهل

قال الإمام علي عليه السلام: «العاقل عدو لذته والجاهل عبد شهوته».[١]

الشرح والتفسير

فرق الإنسان عن سائر الكائنات الحية عقله،[٢] وإلّا فمن الناحية البدنية ضعيف جدّاً وعرضة للضرر ومحتاج بحيث أخذ من الحيوانات جانباً من علم الطب! فبعض الحيوانات تتغذى حين المرض على النباتات وتتعالج، وقد تعلم الإنسان من الحيوانات سبل علاج بعض الأمراض! وتحمل الإنسان لبعض الآفات الطبيعية والصعاب أقل بكثير من الحيوانات. على كل حال إمتياز الإنسان بعقله، والعقل هو الذي جعله حاكما مطلقاً على العالم. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ماالعقل؟ يرى الماديون أنّ العقل مايوصل الإنسان لأعظم المنافع بأقل جهد! أمّا الموحدون فيرون العقل مايوجب رضى الله ويعد الإنسان[٣].

---

١. ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٤٢٠، الباب ٢٨٠٥، ح ١٣١٧٣.

٢. راجع مختلف الأحاديث بشأن العقل في ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٣٩٤، الفصل ٢٦٥، حيث ذكر في هذا الكتاب أكثر من ثلاثمائة حديث.

٣. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن العقل فقال «ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان». بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ١٧٠.

وقد بيّن الإمام علي عليه السلام في تفسير العقل أنّ العاقل من خالف وعادى هواه والجاهل أسير رغباته وشهواته.

والمراد من اللذة هنا عبادة الهوى، وإلّا فالإسلام لا يعارض اللذة[1] فحسب، بل حث الإنسان على ملء وقته كل يوم باللذائذ المشروعة ليتمكن بقية يومه من القدرة على الإتيان بأعماله. وعليه فالمراد من اللذة هنا الرغبات غير المشروعة. والشاهد على ذلك كلمة الشهوة الواردة في العبارة التالية من الرواية. وطبق هذه الرواية فإنّ الدنيا المعاصرة الغارقة في الشهوة الجنسية والمخدرات والفحشاء والفساد والتمييز والإجحاف وما شابه ذلك ليست دنيا عقلائية. اللهم انقذنا من أسرالشهوة وعبودية الهوى.

---

١ . كما قال تعالى في الآية ٣٢ من سورة الأعراف ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

فلسفة الحج

قال الإمام علي عليه السلام: «وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام... وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه».[1]

الشرح والتفسير

الحج من أهم العبادات وله أبعاد مختلفة، كل منها أهم من الآخر. والبعد الأخلاقي الذي خاض فيه الإمام عليه السلام في هذه الرواية أحدها. وليست هنالك من عبارات أروع من هذه العبارات بشأن الحج؛ فالكعبة ينبوع الفيض الإلهي، والكعبة كهف المسلمين الآمن إزاء المصائب والمصاعب، وبالتالي الكعبة كعرش الله موضوع طواف ملائكته المقربين. وعليه لابدّ أن يكون الحج مركز وكهف المسلمين تجاه العواصف والمحن والبلايا، والحج لابدّ أن يروى العطشى. لكن نشعر اليوم بخطرين يهددان بزوال روح الحج، من الضروري الإلتفات إليهما:

١. التركيز المفرط على الجانب المادي لرحلة الحج وجعل مكة والمدينة كسوق لعرض

---

١. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

السلع المطلوبة أو شرائها والسفر هناك لهذا الغرض هو أحد المخاطر التي تهدد فلسفة الحج. للأسف أن هدف بعض الحجيج منذ القدوم حتى الرحيل جلب البضائع. والحال فلسفة الحج أن يفارق الإنسان لمدّة قصيرة الحياة المادية والدخول في أبعاده المعنوية. أمّا التوجه الاقتصادي الكاذب والتركيز المتزايد على جلب البضائع تؤدّي إلى الإستغراق في الماديات.

٢. وينظر إليه البعض الآخر كسفر ترفيهي. ومن هنا يفكرون دائماً في أحسن الأماكن المسكنية وأطيب الأطعمة وأرفه الوسائل النقلية وسائر الإمكانات والخلاصة يركزون على الجوانب المادية للحج. وهذا خطر آخر يهدد الحج. والثورة الإسلامية حفظت في ظل الدين. ولذلك يسعى أعداء الثورة للحد من قوّة البعد الديني أو إفراغه من محتواه. وعليه فالمسلمون موظفون للإتيان بقوة بدعاء كميل والندبة وزيارة عاشوراء وماشابه ذلك ومراسم الإعتكاف وصلوات الجمعة والجماعة والعبادات الاجتماعية كالحج والعمرة ليردوا كيد الأعداء في هذه المؤامرة إلى نحورهم وتطيش سهامهم.

القرآن ربيع القلوب

قال الإمام علي عليه السلام: «وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره».[1]

الشرح والتفسير

العبارات الثلاث غاية الرفعة والمضمون سيما إن إلتفتنا إلى أنّ من ساق هذه العبارات الرائعة في وصف القرآن مَن تربى في أحضانه، ووقف إلى جانب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منذ نزول الوحي حتى انقطاعه وكان من كتّاب الوحي. والخلاصة قائل هذه الكلمات من ينبغي أن نتعلم منه القرآن؛ لأنّ تلامذته ابن عباس وكبار مفسري القرآن فضلاً عنه عليه السلام. واستناداً لهذه المقدمة القصيرة نسلط الضوء على هذه العبارات الثلاث.

١. «وفيه ربيع القلب»[2] في فصل الربيع تتفتح جميع الأزهار وتورق الأشجار وتخضر الغابات والصحارى وتنضج الثمار، وبالتالي فإنّ الطبيعة برمتها حية وجميلة ورائعة وطرية. وإن هب نسيم القرآن على القلوب ينطلق ربيعها. فتتفتح براعم الأخلاق والصفات الحميدة، وتنضبح ثمار التواضع والصبر والإستقامة وتذوب ثلوج وجود الإنسان التي ظهرت إثر ذنوبه وتزول بالتدريج ما بقي من آثار الشتاء من رائحة الموت. ومن الواضح أنّ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٢. وردت مثل هذه العبارات في نهج البلاغة، الخطبة ١١٠ و ١٩٨.

ربيع القلوب يكون أثمر وأينع كلّما انفتحنا أكثر على القرآن.

٢. «وينابيع العلم» ينابيع جمع ينبوع بمعنى العين، ليست عين واحدة بل في القرآن عيون جمّة من العلم والمعرفة. ومن هنا نعتقد كلما زيد التعامل مع القرآن وكثر فيه التفكير والتدبر أمكن استخراج المفاهيم الجديدة والمطالب الحديثة، والدليل على ذلك وجود الإشارات الحديثة والمفاهيم الجديدة في كتب التفسير الجديدة بالنسبة للتفاسير القديمة. قال العلامة البلخي أحد علماء أفغانستان الذي قضى أربع عشرة سنة من عمره في سجون الحكومات الأفغانية: «وفقت طيلة هذه المدّة لختم القرآن أكثر من ألف مرّة، وكلما ختمته ظفرت بمطالب جديدة لم أبلغها في المرة السابقة». وقطعاً لو تكررت تلاوته لكشفت مطالب جديدة. وقد كتبنا التفسير الأمثل طيلة خمس عشرة سنة بصورة متواصلة دون توقف واستغرقت مدّة كتابة الدورة الأولى من نفحات القرآن سبع سنوات، بالتالي عملنا على القرآن ما يقارب اثنتين وعشرين سنة بحيث استمر هذا العمل في السفر والحضر والنفي والبيت ولم يتوقف تحت أية ظروف. لكن الآن حين أطالع القرآن أظفر بمطالب جديدة فأدونها لأنشرها إن شاء الله في المستقبل. نعم، فينابيع العلم في القرآن الكريم لا تنضب أبداً.

٣. «وما للقلب جلاء غيره» كلما شعرت بصدأ قلبك بفعل الذنب أو الغفلة عن ذكرالله أو الإبتعاد عن الحق وماشابه ذلك فافتح القرآن واتل آياته وتدبرها لتجلي بها صدأ قلبك. علي عليه السلام لا يعرف المبالغة والإستغراق وما أورده في هذه العبارات حقائق ناصعة لا تنكر، ولهذا جاء في رواية أخرى: «ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى»[١]. وبالنظر لما تقدم فلا ينبغي أن نتردد ونضعف لحظة في العمل بالقرآن حذراً من أن يسبقنا الآخرون في العمل به فيتحقق قلق علي عليه السلام في لحظاته الأخيرة «إيّاكم أن يسبقكم الآخرون للعمل بالقرآن»[٢].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٢. نهج البلاغة، الرسالة ٤٧.

٨٤

القرآن والغنى

قال الإمام علي عليه السلام: «واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن مـن فـاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى».[١]

الشرح والتفسير

بيّن علي عليه السلام في نهج البلاغة عدة مطالب ومختلف الأبحـاث حـول القـرآن. والعـبارة المذكورة إحدى تلك الروائع. ومعنى الرواية المذكورة أنّ في القرآن جميع متطلبات الإنسان؛ المتطلبات الاجتماعية والفردية والأخلاقية والاقتصادية والعسكرية وماشابه ذلك. وعليه إن كان معك القرآن وعملت به فسوف لن تحتاج وإن تركت القرآن فلن تستغني وإن كان لديك كل شيء. ليس كل القرآن يغني الإنسان فحسب، بل أحياناً تكفي الإنسان آية طيلة عمره لتكون قدوة ونموذجاً صالحاً لحياته برمتها، كالآية الأخيرة من سـورة الزلزلة التي كفت الاعرابي حياته. توضيح ذلك أنّ إعرابياً[٢] دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله علمني القرآن. فدعى صلى الله عليه وآله أحد أصحابه وأمره بتعليمه القرآن. فعلّمه الصحابي سـورة

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٢ . ذهب كاتب قبسات من القرآن في القسم الثاني من الجزء الثلاثين للكتاب المذكور، ص ٢٢٤ إلىٰ أنّه صعصعة بن ناجية جد الفرزدق.

الزلزلة. فلما تعلمها نهض ليودع رسول الله ﷺ وينصرف. فتعجب منه المسلمون. قال ﷺ: أين تذهب؟ قال الأعرابي: يا رسول الله كفتني هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.[1] فقال ﷺ: «دعوه، لقد فقه الأعرابي»[2]. أجل فمن آمن بأنّ جميع أعماله صغيرها وكبيرها ستتجسد أمامه يوم القيامة ولابدّ من تحمل مسؤوليتها فإنّ هذا الإيمان سيحفظه من الزلل والإنحراف طيلة حياته ويدعوه إلى العمل الصالح. نعم، ليس هنالك من وجود لحاجة بعد القرآن والعمل به والإنسان محتاج إليه وإن كانت لديه جميع الإمكانات. ويعتقد البعض أنّ الغربيين البعيدين عن المعارف الإلهيّة ويتمتعون بجميع الإمكانات المادية أناس سعداء. والحال يفتقر مهد حضارة الغرب، أي أمريكا لأبسط حاجات البشرية المتمثل بالأمن! بحيث من الخطر التردد ليلاً على بعض المناطق. كما لا يسلم من الخطر من تردد نهاراً حاملاً مبلغاً كبيراً من المال. لأنّ جميع قيم أمريكا تُلخّص في الدولار حسب أحد المفكرين الفرنسيين ويضحّون من أجله بكل شيء، فالدولار معبودهم! وأطفالهم يشهرون أسلحتهم على معلميهم في المدارس وما أكثر ما قتلوا من زملائهم، ومراكز الفحشاء والمخدرات عامرة لديهم وإن ملأوا العالم بصناعاتهم. على كل حال فعلينا نحن المسلمين أن نعرف قدر هذه الهبة والعطية الإلهيّة ونحفظها ونجهد لفهم وإدراك مضامين آيات القرآن النورانية ونعقد العزم على العمل بهذه الوصفة الشافية ونشجع الآخرين على العمل بها.

---

١. عدّهما النبي ﷺ الجامعتين وعبدالله بن مسعود أحد صحابة النبي ﷺ عدّهما المحكمتين (مجمع البيان، ج٥، ص ٥٢٧).

٢. التفسير الأمثل، ج ٢٧، ص ٢٣١.

٨٥

قلعة التقوى الوثيقة

قال الإمام علي(ع): «فاعتصموا بتقوى الله فإنّ لها حبلاً وثيقة عروته ومعقلاً منيعاً ذروته».[١]

الشرح والتفسير

بيّن أميرالمؤمنين(ع) في هذا الجانب من خطبته تشبيهين للتقوى: فقد شبهها في العبارة الأولى بحبل عروته وثيقه وورد مثل هذا التشبيه للقرآن الكريم[٢].

ولعل هذا التشبيه يشير إلى أحد أمرين:

١. الدنيا كبئر والناس في أعماقه، ولابدّ هنامن حبل متين لينجي التمسك به الناس من البئر. وقد وصف(ع) التقوى بمنزلة الحبل الذي يستطيع الإنسان أن ينقذ نفسه بواسطته من بئر الهوى وعالم المادة.

٢. عادة مايصطحب متسلقو الجبال معهم حبلاً طويلاً للصعود إلىٰ قمة الجبل الخطيرة فيلفونه حولهم فإن زل أحدهم حفظه الآخرون واحتمال زلة الجميع ليست واردة. وعليه لو

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

٢. وصف القرآن في رواية الامام الرضا(ع) بحبل الله المتين. راجع ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٧٠، الباب ٣٢٩٤، ح ١٧١٣٦.

زل أحد لا يسقط لأنّه متصل بهذا الحبل. وربّما أشارت إلى ذلك الآية الشريفة: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[١] فإن تمسك السالكون لقمة السعادة بحبل الله واتصلوا به وزلّ البعض حال الآخرين دون سقوطه. وشبّه التقوى في الثانية بذروة خارجة عن متناول العدو والمتقي يتربع على سفح هذه الذروة المنيعة. نعم، بالتمسك بحبل تقوى الله يمكن الخروج من بئر هوى النفس المرعب والصعود إلى قمة الكمال والسعادة واللواذ بكهف آمن بعيداً عن العدو.

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٨٦

القلعة المحكمة

قال الإمام علي عليه السلام: «إعلموا عبادالله أنّ التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل،... ألا وبالتقوى تقطع حمّة الخطايا، وبـاليقين تـدرك الغـاية القصوى».[1]

الشرح والتفسير

الإنسان عرضة في هذه الدنيا لهجوم أنواع البلايا والآفات من الناحية البدنية وكذلك الناحية الروحية. وقد زود الله الإنسان بوسيلة دفاعية في جسمه لدفع المكروبات ولولا هذه الوسيلة لما عمر من شيء. ومرض الايدز هدية عصرنا الراهن للأسف تقضي على قوّة الجسم الدفاعية وتقتل كريات الدم البيض كما خلق قوّة دفاعية عـلى صـعيد المسـائل الروحية والأخلاقية للحيلولة دون الأمراض والتي تـتمثل بـالتقوى؛ والإنسـان عـديم التقوى كالمصاب بالايدز! وتتضح من الرواية المذكورة نـقطتان بـالإضافة إلى التشـبيه الجميل الذي مرّ معنى شرحه الأول يتضح أنّ التقوى هي القوّة الدفاعية الباطنية، والتقوى هي العدالة والعدالة هي التقوى، وإن بلغت التقوى مراحلها الرفيعة فهي العصمة. النـقطة

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٧.

الثانية أنّ التقوى أفضل سبيل لمواجهة الغزو الثقافي لأعداء الإسلام. فإننا لا نســتطيع أن نطهر المجتمع من جميع المكروبات لحفظ صحتنا، لكننا نقدر أن نقوي قوّة بدننا الدفـاعية. والأمر كذلك بالنسبة للروح وإن تعذر تطهير المجتمع من جميع الصفات الرذيلة وهـجوم الأعداء على القيم، إلّا أنّه يمكن تقوية التقوى في الباطن ومواجهتها بهذه الوسيلة.

٨٧

الجود والكرم

قال الإمام علي عليه السلام: «غاية الجود أن تعطي من نفسك المجهود».[١]

الشرح والتفسير

جميع موجودات عالم الوجود واهبة طبيعياً وتضع ما تملك تحت تصرف الآخرين، ويمكن الاشارة إلى الشمس من هذه الموجودات، فالشمس تفيض على الدوام الضوء والحرارة والطاقة على عالم الوجود. وتفقد الشمس إثر هذا الفيض ثلاثمائة ألف مليون طن من وزنها يومياً. إلّا أنّ هذا الكائن العظيم البركة كالشمع يشتعل ليضيىء محفل كائنات المنظومة الشمسية. وقد خلقت للإنسان زهرة وجود العالم والذي سخر لأجله جميع الكون وله مقام يفوق الملائكة فهو خليفة الله في الأرض والذي ينبغي أن ينسجم مع هذا القانون الكلي فلا يحرم الآخرين ممّا لديه من إمكانات ولا يكون قطعة شاذة ضمن كائنات العالم الفياضة. فهل يجدر بهذا الإنسان الذي يطلب من الله كل شيء ويرجو أن يقضي جميع حوائجه ويهبه كل مايسأله بينما يبخل هو ولا يلبي حاجة الآخرين؟ الرواية المذكورة توصي الجميع بالانسجام مع نظام الوجود وعدم التقتير على الآخرين بكل ما يملكون من

---

١. إرشاد المفيد، ص ١٥٨ (نقلاً عن ميزان الحكمة، الباب ٦٣٣، ح ٢٩٧٧).

قوة. وللجود والكرم آثار مهمّة في الدنيا والآخرة وآثاره المعنوية كثيرة يمكنه حتى إنقاذ الإنسان الكريم العديم الإيمان من النار! روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعدي بن حاتم الطائي: «دفع عن أبيك العذاب الشديد لسخاء نفسه»[١] والمباحث المتعلقة بالجود واسعة[٢] نكتفي هنا بهذا المقدار على أمل أن ننسجم مع سائر كائنات عالم الوجود فنشرك الآخرين في إمكاناتنا.

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٥٤.

٢. راجع شرح هذه المباحث في الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص ٣٨٥.

كمال العفة

قال الإمام علي عليه السلام: «تمام العفاف الرضا بالكفاف». [1]

الشرح والتفسير

يعتقد علماء علم الأخلاق أنّ صفات الفضائل الخلقية هي الحد الوسط بين الإفراط والتفريط حيث كلاهما رذيلة أخلاقية. ويرون للإنسان أربع صفات أخلاقية أصيلة: الشجاعة والعفة والحكمة والعدالة. والعفة حد اعتدال القوة الشهوية فإن فاقت حدها أصبحت شهوة؛ الانغماس في عبادة الشهوة، طبعاً الشهوة بالمعنى العام للكلمة؛ أي الإستسلام لرغبات النفس وإن هبطت عن حد الإعتدال عدت كسلاً وإن كانت معتدلة فهي عفة. مثلاً حب المال والعمل لتحصيله إن زاد عن الحد فهو عبادة للدنيا وهو مذموم، وإن لم يتجه نحوه أبداً فهو الكسل ومذموم أيضاً، أمّا إن كان في حد الاعتدال وبمقدار الحاجة فهي عفة وأمر بغاية الجودة. واستناداً لهذه المقدمة نخوض في شرح الرواية.فقد بيّن عليه السلام: كمال العفة أن يقنع الإنسان بالكفاف. يرى المحققون أن ثروات الدنيا تنفق في ثلاث:

١. ضروريات الحياة؛ بمعنى القناعة بالحد الأقل من حاجات الحياة.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

٢. المسائل الرفاهية التي تفوق ضروريات الحياة لكنها ليست بحد الإسراف.

٣. الشهوات والأهواء، وللأسف فإنّ الاحصاءات تشير إلى أنّ الجانب الأعظم من ثروات الدنيا تنفق في هذا المجال ولا حصرلها، حيث يمكن ذكر عدة نماذج لذلك وأبرزها قصور الملوك وأصحاب رؤوس الأموال وزخارف المتهافتين على الدنيا. وبالطبع فإنّ الرواية المذكورة تشمل الجانب الأول وتنفي قطعاً الطريق الثالث، لكن ربما تشمل الطريق الثاني، لأنّ ما يفوق ضروريات الحياة ولا يبلغ الإسراف يعتبر من متطلبات الإنسان.

٨٩

الذنوب الخفية

قال الإمام علي عليه السلام: «اللّهم اغفر لي همزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشَهَوات الجَنان، وهَفَوات اللسان».[١]

الشرح والتفسير

يستفاد من أحاديث وروايات المعصومين عليهم السلام أنّ نوعين من الذنوب في غاية الخطورة:

١. الذنوب الصغيرة سيما بالنسبة للأفراد المتدينين المبتعدين عادة عن الذنوب الكبيرة وحيث يولونها أهمية فلا يقارفونها، لكن ليس لديهم مثل هذا التعامل مع الصغائر ومن هنا يحصل التلوث بها.

٢. الذنوب الخفية الثانية التي لا يعلمها إلّا الإنسان وربّه. والرواية المذكورة تتناول هذا النوع من الذنوب. وهذه الرواية وإن كانت بصيغة الدعاء وطلب المغفرة لهذا النوع من الذنوب، إلّا أنّها درس للمخاطبين ليجتنبوا هذه الذنوب. الذنوب الخفية كالإستهزاء واستحقار الشخص المحترم بنظرة عين أو إشارة مشبوهة تؤدّي إلى ذهاب ماء وجه الإنسان الشريف، أو الذنب الذي يأتي من خلال المزاح في غير محله والألفاظ السوقية غير

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٧٨.

المناسبة، والمزاح الذي قد يكون أحياناً أجد من الجد! والبعض ربّما ينتقم عن هذا الطريق! والذنوب مثل الرياء والعجب الذى يعتبر سداً قوياً أمام قبول الطاعات والعبادات. والخلاصة لابدّ من الاستعاذة بالله الكريم من هذا النوع من الذنوب التي لا مجال لمنعها سوى الايمان والورع والتقوى. ونسأل الله أن يغفر لنا هذه الذنوب.

٩٠

لباس التقوى

قال الإمام علي عليه السلام: «فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة».[١]

الشرح والتفسير

شبّهت التقوى في هذا الحديث العميق المعنى، باللباس. فقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام بهذه العبارة إلى الآية ٢٦ من سورة الأعراف، حيث قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** فقد مَنّ الله تعالى في هذه الآية على عباده باللباس، والتعبير «أنزلنا» بشأن اللباس رائع، وسر ذلك أن الله ينزل الماء من السماء فتشربه الحيوانات وتنمو به النباتات وتتغذى عليه. ثم ينبت على أجسامها الصوف والشعر ليعد الإنسان من الصوف والشعر لباسه. طبعاً يمكن القول لا يلزم في التعبيرات مثل «أنزلنا» أن يكون هنالك علو مكاني مثل علو السماء بالنسبة للأرض، بل يكفي العلو المقامي فليس لله مكان خاص وعليه حيث أفاض الله تعالى على الإنسان اللباس عبّر بأنزلنا، وإن أعدّ هذا اللباس على الأرض.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

أهمية اللباس:

للباس ثلاثة أمور مهمة:

١. الحفظ حيث يمنع الأضرار الخارجية.

٢. ساتر العيوب ويحول دون ظهور عيوب الإنسان.

٣. مدعاة للزينة وحرمة الإنسان؛ فالإنسان العاري أشبه بالحيوان ولهذا يمكن اعتبار اللباس علامة شخصية الإنسان، ويمكن من خلال هذه العلامة قراءة أغلب الصفات الأخلاقية للإنسان. فيعلم هل هذا الإنسان يتحمل أم لا يتحمل؟ منظم أم غير منظم؟ حاد أم معتدل؟ له مشكلة مع أسرته أم لا؟

والخلاصة فإنّ اللباس يتابع ثلاثة أهداف، ولو ألقينا نظرة على الألبسة التي تلبس الآن سيما ما يلبسه بعض الشبّان والنساء لعلمنا أن بعضهم للأسف نسى الأهداف الأصلية للباسه. على كل حال التقوى أيضاً لباس تنشد هذه الأهداف الثلاثة:

أولاً: التقوى تحفظ روح الإنسان وتصونه من الزلات الأخلاقية؛ الزلات الأخلاقية التي لا تجرح روحه فحسب، بل تقضي على كرامته الإنسانية.

ثانيا: التقوى تستر عيوب الإنسان الأخلاقية وتحول دون بروزها.

ثالثا: التقوى زينة الشخصية وعلامتها، فالمتقي محترم حتى لدى عديمي التقوى. فالتقوى ليست مجرّد لباس عادي، بل يمكنه أن يكون لباس الحرب. ولما كان الجهاد حادث دائمي لحياة الإنسان سيما بعد الجهاد الأصغر ومجاهدة النفس، فهناك حاجة دائمية لهذا اللباس.

وعليه لابدّ من استغلال هذا اللباس القتالي دائماً ليحفظ الإنسان من الآفات والأخطار ويستر عيوبه ويكون له زينة.

٩١

المؤمن مرآة المؤمن

قال الإمام علي؈: «يا كميل المؤمن مرآة المؤمن، لأنّه يتأمله فيسدّ فاقته ويجمّل حالته».[١]

الشرح والتفسير

أشار الإمام أميرالمؤمنين؈ في الرواية المذكورة إلى خدمتين مهمتين من الخدمات المتعددة التي تسديها المرآة، إلّا أنّ لهاتين الخدمتين خصائص، ونشير هنا إلى خمس من مواردهما:

١. تعكس المرآة للأفراد العيب والحسن ونقاط الضعف والقوة والجيد والسيىء دون ضجيج وضوضاء. ودون أن يلتفت الآخرون ومنهم القريب منها فلا تذهب بماء الوجه.

٢. المرآة الصافية تعكس الحسن والقبح كما هو دون زيادة أو نقصان. كما لا تعمل بصيغه جناحية بحيث تبدي عيوب الأصدقاء صغيرة وتكبر محاسنهم أو العكس بالنسبة للأعداء.

٣. المرآة تبين عيب الإنسان، لكنّها لا تلومه ولا توبخه، ولا تحقره وتحط من شأنه لدى الآخرين.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٤.

٤. بيان الحسن والقبيح لمن يقف أمامها على الدوام ولا تكل من هذا الفعل، لا مثل بعض الأفراد إن لم يكن تعباً ويعاني من مشاكل وكان مرتاحاً تابع محاسن ومساوىء صديقه، وإلا كأنه أطبق جفنيه ولا يرى شيئاً.

٥. إنّ الإنسان كلّما اقترب من المرآة التفت بصورة أفضل لمعايبه ومحاسنه، طبعاً شريطة أن تكون للمرآة أربع صفات:

أ) يجب أن يسقط عليها الضوء وإلّا لا تظهر فيها الصورة.

ب) أن تكون خالية من التراب والغبار، بل لابدّ أن تكون صافية ونظيفة.

ج) أن لا تكون معوجة، بل شفافة وصافية.

د) أن يكون الناظر للمرآة مبصراً، فلا يمكن الاستفادة من المرآة إلّا حين يكون الناظر مبصرا.

واستناداً لهذه الخصائص الخمس للمرآة وأنّ المؤمن شبيه بالمرآة، فلابدّ أن يتحلّى المؤمن بهذه الصفات. لكن للأسف البعض لا يرى في الآخرين سوى عيوبهم، وعيونهم مغلقة عن المحاسن. ومن هنا لا يقر الطرف الآخر بما يقولونه. لابدّ أن تذكر المحاسن قبل المساوىء حين الإرشاد والأمر بالمعروف ليقبل صاحب العيب ويهمّ برفع عيوبه. والبعض الآخر يطرح عيوب الناس أمام الآخرين فيحقرهم ويوبخهم. وهنالك من يقتصر على بعض العيوب إن اقترب أكثر من صديقه. والكلمة الأخيرة إنّ المؤمن وإن كان مرآة لكل مؤمن، لا بد أن يكون مرآة للمجتمع كلّه بالشروط الأربعة المذكورة. كما يمكن لوسائل الإعلام والصحافة والكتب وأمثال ذلك أن تكون مرآة عامة لطيفة، شريطة أن تعكس ما موجود لا ما تحب.

٩٢

المؤمن الحق

قال الإمام علي عليه السلام: «المؤمن وقور عند الهزائز، ثبوت عند المكاره، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بمارزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، الناس منه في راحة، ونفسه منه في تعب...».[١]

الشرح والتفسير

وردت عدة أحاديث بشأن خصائص المؤمنين تبيّن كل منها من زاوية شخصية المؤمن. والرواية المذكورة تضمنت تسع صفات من صفات المؤمن الحق، تشير بعضها إلى أخلاق المؤمن الفردية وبعضها الآخر تتعلق بالأخلاق الجماعية وكيفية تعامله مع المجتمع. وتشير في البداية إلى الصفات الفردية.

١ و ٢. «المؤمن وقور عند الهزائز، ثبوت عند المكاره» هزائز من مادة هزّة بمعنى الحوادث الصعبة ولهذه الكلمة مفهوم واسع. وهذه الحوادث ربّما تكون مصائب أو هجمات الأعداء وربّما الأمراض المستعصية وكذلك الزلازل والعواصف الكاسحة. والمؤمن كالجبل الشامخ إزاء كل هذه الحوادث. والمؤمن بمعونة إيمانه لا يفقد توازنه إزاء العواصف، بل يتغلب

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٣٢، الباب ٢٩١، ح ١٤٠٨.

عليها بوقار ودون اضطراب.

٣. «صبور عند البلاء» فهو لا يجزع ويختل توازنه حين البلاء والحوادث الأليمة التي تصيب كل إنسان، بل يعتمد الصبر ليوفق في الإمتحان الإلهي.

٤. «شكور عند الرخاء» كما لا يختل صبر المؤمن عند المصيبة والبلاء، فإنّ زيادة النعمة لا تنسيه ذكر الله المنعم عليه بهذه النعم، بل يذكرالله أيّام الرخاء ويشكره على نعمه. والمؤمن لا يقتصر شكره على اللسان بل يتعداه إلى العمل، فهو لا يستغل هذه النعم سوى في مسار رضىالله.

٥. «قانع بما رزقه الله» المؤمن قانع بما عنده وثمرة القناعة الإستقرار. ولهذا فهو يعيش حياة مستقرة بمعيشة بسيطة، بينما ليس هناك من استقرار لبعض الأفراد الذين يمتلكون القصور والثروات. ثم أشار في ذيل الرواية إلى أربع خصائص اجتماعية هي: أنّه لا يظلم أحد حتي الأعداء، ولا يتحامل على الأصدقاء ولا يتعمّد إثارة المشاكل، ولذلك فالناس جميعاً في راحة منه، وإن عانى هو من بعض المشاكل.

اللهم أعنا لأن نكون مصداقاً بارزاً لهذه الصفات.

٩٣

عقاب ستة بستة

قال الإمام علي عليه السلام: «إن الله يعذب ستة بستة: العرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل».[١]

الشرح والتفسير

إليك توضيح مختصر لكل من الطوائف الست المذكورة

١. «العرب بالعصبية» يعذب العرب المتعصبون بسبب تعصبهم إزاء الحق وهي العصبية التي تحول دون قبول الحق والحقيقة حيث تمثل كحجاب على العين وتمنع من مشاهدة الحقائق.

٢. «والدهاقين بالكبر» دهقان مفرد دهاقين معربة في الواقع من مفردة فارسية تعني صاحب القرية[٢]. على كل حال إنّ الله يعذب هؤلاء لغرورهم وتكبرهم. فبعضهم على درجة من الكبر والغرور بحيث ينظرون إلى الرعية وكأنّهم حيوانات ولا يرون لهم أدنى قيمة.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٥٩.

٢. قاموس عميد، ص ٦٠٢.

٣. «والأمراء بالجور» الطائفة الثالثة التي أشارت لها هذه الرواية، القادة والحكام على الناس. وسبب عذابهم ظلمهم وجورهم على الناس الخاضعين لسلطتهم وحكومتهم.

٤. «والفقهاء بالحسد» الحسد أيضاً أحد عوامل عذاب الله وهذه الصفة والرذيلة الأخلاقية عامل عذاب العلماء والفقهاء الحسودين. فالفقهاء الحاسدون يريدون إزالة مقام الآخرين وموقعهم.

٥. «والتجار بالخيانة» حيث يعذب الله التجار لخيانتهم في أموال الناس. فالتطفيف والغش في المعاملة وعدم تسديد ديون الدائنين والإحتكار وماشابه ذلك نوع من الخيانة.

٦. «وأهل الرستاق بالجهل» يعاقب القرويون بسبب جهلهم وعدم إلمامهم بالمعارف الدينية. ومن كانت له القدرة على التحقيق والسؤال فلا يتجه نحوها ويبقى في جهله فلا عذر لجهله، بل هذا الجهل عامل عذابه.

نقاط ثلاث:

١. لا شك يشمل بعذاب الله كل من أصيب بهذه الصفات والأفعال؛ وإن لم يكن في زمرة إحدى الطوائف المذكورة. أي أنّ الإنسان الحسود يعاقب وإن لم يكن من الفقهاء، كما أنّ الشخص المتكبر سيتجرع مرارة عذاب الله وإن لم يكن دهقاناً، وهكذا بالنسبة لسائر الصفات وعلى ضوء هذا المطلب يرد هذا السؤال: لم نسبت كل صفة لطائفة معينة، والحال يمكن أن تصيب كل صفة من هذه الصفات أي إنسان وجماعة؟ لابدّ من الإلتفات إلى هذه النقطة في الإجابة عن هذا السؤال أن لكل نقطة ضعف تزل قدمه فيها. والواقع الرواية المذكورة تبين نقطة الضعف لكل من الطوائف الست المذكورة. بعبارة أخرى البعض محصن من بعض الذنوب كأن لا يمارس القمار أو لا يشرب الخمر، بينما يجري وراء بعض الذنوب الأخرى، فهذه الرواية تتناول النوع الثاني من الذنوب.

٢. جذور شقاء الإنسان هذه الصفات الست التي أشير إليها في الرواية المذكورة. ولو غيبت هذه الصفات عن المجتمع البشري واجتث يوماً التعصب والتكبر والظلم والحسد والخيانة والجهل لكانت الدنيا جنّة قطعاً. تأمل ذلك اليوم!

٩٤

الثوابت القيمة في المجتمع

قال الإمام علي عليه السلام: «ولا تضعوا مَن رفعته التقوى، ولا ترفعوا مَن رفعته الدنيا، ولا تشيموا بارقها، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها».[1]

الشرح والتفسير

محور كل مجتمع قيمه والتي تحدد شكله ومساره. فإن كان محور القيم في المجتمع، المصالح المادية كانت كل أفعال المجتمع تدور حول هذا المحور. فالتربية والتعليم والدوائر والمؤسسات والمنظمات والكتب والصحافة والإعلام والسينما والمراكز الفنية والميادين الرياضية ستتجه نحو المصالح المادية. والعكس صحيح إن كانت التقوى محور المجتمع فإنّ جميع مرافق المجتمع ومراكزه ستكتسب صبغة التقوى، وهنا يرد الكلام بصورة جدية عن الكرامة الإنسانية. كان النشاط المهم لأنبياء الله ـ صلوات الله عليهم ـ استبدال المحاور، والنشاط الرئيسي للشياطين والمستكبرين تخريب المحاور القيمة. ومن هنافهم يسعون لتلقين الآخرين أنّالمحور الأساسي الاقتصاد والمنافع المادية لا المعنوية وعالم الآخرة. لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وغير محاور المجتمع تغيرت نتاجات المجتمع. فالمجتمع الذي كان يفخر قبل

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

الإسلام ببعض الوضيعين من الأفراد الذين لاقيمة لهم كأبي سفيان وأبي جهل، تـغيرت رؤيته فأخذ يفخر بالأفراد الأفذاذ كعلي عليه السلام والمقداد وأبي ذر. والرواية المذكورة بالإشارة إلى محورية الإسلام تقول: لا تهبطوا بمنزلة مَن بلغ مرتبة رفيعة في المجتمع على أساس القيم السماوية والورع والتقوى لبعض الذرائع الجوفاء والمادية الرخيصة، وأولئك الذين بـلغوا باطلاً موقعاً على أساس محورية عبادة الدنيا فلا تغتروا ترغبوا بزخرف مقامهم وموقعهم ولا تنبروا لتأييدهم ومساعدتهم.

والخلاصة عليكم بحفظ محاوركم القيمة بقاطعية وجزم.

٩٥

الناس ثلاث طوائف

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عنّي ما أقول لك، الناس ثلاثة: فعالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».[1]

الشرح والتفسير

مضمون هذه الرواية مهم؛ لأنّ فهم وإدراك المخاطب كلما كان أرفع بين القائل الحكيم والعالم كأمير المؤمنين عليه السلام مطالب أعمق. ولما كان المخاطب في هذا الحديث كميل بن زياد من خواص أصحاب الإمام عليه السلام وحافظ أسراره تكتسب هذه الرواية أهميّة فائقة. «يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها» فقد شبّه عليه السلام قلوب الناس بالأوعية، ومن الواضح أنّ أفضلها ما كان استيعابه أكثر وقدرة حفظه أفضل. وعليه فالقلب الأفضل ما كان أعظم استيعاباً للعلم والمعرفة. وتتضح نقطة مهمّة من مستهل الحديث وهي: إنّ فيض الله كجميع صفاته مطلق ولا متناهٍ، فلم كانت استفاضة الناس مختلفة؟

---

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، ١٤٧.

وتتضح الإجابة عن هذا السؤال من خلال التمعن في العبارة الأولىٰ للحديث في أنّ القابليات متفاوتة. والأوعية التي أتى بها الناس لجمع المعرفة والإستفادة من الفيض الإلهي متفاوتة، ومن هنا كانت استفادتهم متفاوتة. فأمطار الرحمة الإلهيّة تنزل من السماء على جميع أهل الأرض، لكنّها ليست متساوية جميعاً في الإستفاضة! بل تنتفع كل بقعة من المطر بقدر سعتها وقابليتها. إذن كما إنّ المشكلة هنا لا تكمن في المطر، بل في الأرض، كذلك المشكلة ليست في الفيض الإلهي، بل المشكلة في سعتنا نحن الأفراد. وبعد أن لفت الإمامعليه السلام إنتباه كميل لهذه النقطة المهمّة قال: «الناس ثلاثة» أي جميع الناس ضمن إحدى هذه الطوائف الثلاث وليست هنالك من رابعة، وعلينا أن نتأمل في أية طائفة نحن.

١. «فعالم رباني» الطائفة الأولى العلماء الربانيون الذين يتولون تربية الناس ويهذبون النفوس بنور علمهم كالشمس المشرقة، لا العلماء الساكتون القابعون في زاوية؛ نعم العالم الذي يتصدى في وسط المجتمع لإرشاد الخلق وهداهم. فياله من فخر أن يستند الإنسان إلى منزلة الأنبياء إن كنامن هذه الطائفة!

٢. «ومتعلم على سبيل نجاة» طلبة العلوم الذين ينحنون للعلماء ليظفروا بالنجاة بالإستفادة من نور علمهم. والفارق بين الطائفة الاولى والثانية كالفارق بين الشمس والقمر! فالشمس مصدر إنتاج النور، أمّا القمر فلا ينتج النور لكنه يستفيد من نور الشمس ويعكسه ليستفيد منه الآخرون. أفراد هذه الطائفة سعداء أيضاً ويسعهم بالجد والإجتهاد أن يكونوا في زمرة الطائفة الأولى ويخوضوا في تهذيب المستعدين من الأفراد.

٣. «وهمج رعاع» الطائفة الثالثة من الناس ـ وتعدادهم ليس بالقليل للأسف ـ الأفراد الحمق والجهال فاقدوا الهدف والتخطيط الذين لانور لهم من أنفسهم ولا يستفيدون من نور هداة المجتمع. ولم يكتف الامامعليه السلام بعبارات قصيرة كما فعل بشأن الطائفتين الأولى والثانية فخاض في بيان تفاصيل هذه الطائفة، فذكر أربع خصائص لها هي:

أ) «إتباع كل ناعق» ليس لهؤلاء استقلال فكري وينطلقون خلف كل شعار، يتبعون البعض اليوم وغدا حين يرون ذلك البعض في موضع سيىء يتظاهرون عليهم بالشعارات!

ومن السذاجة الإستظهار بدعم هؤلاء الأفراد، فلا هتافاتهم «عاش، عاش» مدعاة للقوة ولاصراخهم «الموت، الموت» مدعاة لضعف.

ب) «يميلون مع كل ريح» ليس لأفراد الطائفة الثالثة ضعيفي الإرادة من وزن من أنفسهم. ومن هنا لا يقدرون على حفظ أنفسهم إزاء العواصف الإجتماعية، بل يتحركون باتجاه كل ريح، بل يحركهم حتى النسيم ويحملهم حيث شاء.

ج) «لم يستضيئوا بنور العلم» لم تستفد هذه الطائفة من نور علم هداة الأمّة وعاشت في الظلمة. والعبارة في الواقع علة بؤس وشقاء هذه الطائفة. وحيث لم يستفد هؤلاء الأفراد من نور هدى مربي المجتمع فهم أناس ضعاف الإرادة ولا وزن لهم ولم يعيشوا الحيرة والضلال فحسب، بل يعدون خطراً وتهديداً لسائر الناس.

د) «ولم يلجأوا إلى ركن وثيق» هذه العبارة دليل آخر على انعدام وزن الطائفة الثالثة، وحيث ليس لهذه الطائفة سند في المجتمع، أي ليست هي بسند ولم تلذ بسند راسخ ومحكم، فأدنى نسيم يحركها ويتغير مسارها وتختلف ألوانها كل حين.

آلاف التحية والثناء على قائل هذه الكلمات القيمة! وهنا لابدّ أن نختلي بأنفسنا لحظة ونستغرق في التفكير لنرى في أيّة طائفة نحن. فإن كنّا في الطائفة الأولى أو الثانية شكرنا الله على هذه النعمة الفضيلة، وإن كنّا لا سمح الله في زمرة الطائفة الثالثة فعلينا المسارعة لإصلاح أنفسنا، فالعذر متأخر.

٩٦

مشاكل النعمة

قال الإمام علي عليه السلام: «من حسنت به الظنون، رمقه الرجال بالعيون».[١]

الشرح والتفسير

لابدّ من الإلتفات إلى بعض الأمور بشأن هذا الحديث:

١. «رمق»: بمعنى النظر ويقال الرامق للناظر. ومايقال: مازال لفلان رمق. يعني مـازال ينظر. لكن هنا كناية عن الحسد أو الإطلاع. ومعنى الرواية أنّ الشخص الذي يجلب انتباه الآخرين وتنهال عليه نعم الله ويصبح شخصية مرموقة في المجتمع يتعرض لحسد الحاسدين ولابدّ أن يعد نفسه لذلك، أي يتحمل عراقيل الحساد. وهذا المطلب في الواقع إشارة لكلمة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «لا تنالون منها نعمة إلّا بفراق أخـرى»[٢]. لأنّ نـعم الدنيا لا يمكن جمعها. كما أنّ الشمول بنعم الله لا يمكن جمعه مع النجاة من مخاطر الحساد، اذن لابدّ من الإستعداد لتحمل هذا المطلب؛ لأنّ توقعات الناس تزداد بالنسبة لمثل هذا الفرد ولا ينبغي الإنزعاج من هذا الأمر.

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٥.

٢. إن الشخص الذي يحسن الناس به الظنّ وتتّجه نحوه الأنظار تضبط جميع أعماله ويدقق الناس في أصغر أفعاله وسلوكياته وهذا ما يُثقل وظيفته ويضاعف مسؤوليته. وعليه لابدّ أن يراقب كلامه وعمله حتى لا يمنح الحساد والمخالفين ذريعة.

٩٧

مفاسد البطالة

قال الإمام علي عليه السلام: «إن يكن الشغل مجهدة، فاتصال الفراغ مفسدة».[١]

الشرح والتفسير

أشار أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الرواية القصيرة الرائعة والعميقة المعنى إلى مسألة في غاية الأهمية وهي: أنّ العمل ليس مجرد مسألة اقتصادية، بل مسألة أخلاقية مهمّة؛ ومن هنا بيّن عليه السلام أنّ البطالة أحد عوامل الفساد والعمل يحول دونه. قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة　　　مفسدة للمرء أي مفسدة[٢]

وتؤيد الإحصاءات ما ورد في هذه الرواية. جدير ذكره أنّ المراد من العمل والشغل في هذه الرواية ليس الشغل والكسب العالق في أذهاننا، بل المراد كل عمل مفيد ومشروع يشغل الإنسان. وما ورد في الخبر أنّ الشيطان يحشد جنوده بين صلاتي المغرب والعشاء[٣] حيث إنّ الناس بلا عمل في هذه الساعة عادة. ولذلك تسمى هذه اللحظات «ساعة الغفلة».[٤] وصلاة الغفيلة بين صلاة المغرب والعشاء سميت بهذا الإسم لأنها تحد من آثار

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٩.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد، ج ٣، ص ٣٤٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ٤، أبواب التعقيب، الباب ٣٦، ح ٥.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٩٥.

الغفلة المدمرة. أضف الى ذلك من الواضح أنّ أحداً لا يبلغ شيئاً دون عمل وشغل أينما كان في هذه الدنيا. ومن هنا كان الأعلام أنشط أفراد عصرهم ولا يفرق لديهم التعطيل من عدمه والسفر والحضر، بل العطلة والسفر يغير نوع عملهم ونشاطهم، بينما لا يعطلون قط مطالعاتهم وأنشطتهم العلمية وهذه نقطة مهمّة في أن يستفيد جميع الطلاب الجامعيين والمراكز العلمية والطلبة والحوزات العلمية بنحو أحسن من تعطيلاتهم وأوقات فراغهم.

٩٨

مقام طالب العلم

قال الإمام علي عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنّه ليستغفر لطالب العلم مَن في السماء، ومَن في الأرض حتى الحوت في البحر».[١]

الشرح والتفسير

بيّن الإمام علي عليه السلام في هذه العبارات الثلاث، الأهميّة والقيمة الاستثنائية لطالب العلم وطوبى لمن شمل بهذه الرواية.

العلم طريق الجنة:

عقد في العبارة الأولى علاقة بين الجنّة والعلم واعتبر سبيل الوصول إلى الجنّة يمرّ من طريق العلم والمعرفة. ومفهوم هذا الكلام أنّ طريق جهنم يمرّ من منعطفات الجهل والحمق، كما صرحت بذلك الآية الشريفة ١٧٩ من سورة الأعراف: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ**

---

١. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٤.

بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ لم كانوا أسوأ من الأنعام؟ لأنّهم ضالّون مع امتلاكهم لجميع وسائل الهدى؛ نعم، فهذه الآية ترى الجهل علة ورود البعض نار جهنم، وإننا لنفخر بالإسلام الذي يرى طريق الجنّة العلم وطريق جهنم الجهل. خلافاً لبعض المذاهب المصطنعة التي ترى ديمومتها في جهل الناس ولذلك يقاومون العلم! والعجيب أنّ الفصول الأولى للتوراة المعاصرة التي يقرّها اليهود والنصارى ترى علة إخراج آدمعليه السلام من الجنّة بلوغه العلم والمعرفة! حيث جاء فيها أنّ آدم أكل من شجرة العلم والمعرفة فطرد من الجنّة بجرم العلم! ياله من فارق بين مدرسة ترى العلم سبيل دخول الجنّة وأخرى تراه سبب الخروج من الجنّة!

الملائكة تظلل طالب العلم بأجنحتها:

أخبر الإمامعليه السلام في العبارة الثانية من الرواية أنّ الملائكة تظلل بأجنحتها طلبة العلم ـ ليس بالإجبار والإكراه، بل بالرغبة والإختيار. أي أنّ الطلاب الجامعيين وطلبة العلوم الدينية يضعون أقدامهم على أجنحة الملائكة حين يتوجهون إلى حلقات الدرس. ترى لِمَ يفعل الملائكة ذلك مع مالهم من مقام؟ الجواب واضح: أنّ الملائكة تدرك قدر العلم، فلما خلق آدم استفسرت عن سبب خلقه. فأشار تعالى في قصة خلق آدم إلى علمه ومعرفته وقد فاز آدم في السباق العلمي بينه وبين الملائكة، هنالك أدركوا ما كان يعني السجود لآدم. فقد وقفوا من هذا الطريق على القيمة الحقيقية للعلم ولذلك يظللون بأجنحتهم طلبة العلوم، وعلى من يسير على طريق العلم أن يقف على عظمة مقامه ويشكر الله دائماً على ذلك ولا يحرم الآخرين من علمه.

استغفار جميع الكائنات لطلبة العلم:

تطرق الإمامعليه السلام في العبارة الثالثة إلى استغفار جميع موجودات الأرض والسماء حتى أسماك البحار لطلبة العلم. فجميع الأنبياء والأولياء والأوصياء والملائكة وجميع الناس وكل الأحياء يسألون الله المغفرة والرحمة لطلبة العلم ولا شك في استجابة دعاء تمام عالم الوجود.

أيها الطلبة الأعزاء! الطلبة الجامعيون المحترمون! وجميع الأعزة السائرين على طريق العلم! فكروا قليلاً في هذه النعمة الإلهيّة العظيمة التي خصصتم بها واشكروه دائماً واعرفوا قدركم بعد شمولكم بهذه النعمة. فما أكثر الذين يتمنون سلوك سبيل العلم، لكن لم يكتب لهم النجاح والتوفيق. وليس من العبث إنكم وفقتم له، فعلل هـذا التـوفيق الإلهـي تحـتاج إلى بحث مستقل، والمسلّم به أن الله الحكيم يفيض وفق حسابات، هذه النعمة على البعض ويحظرها على البعض الآخر. حقاً لمن دواعى الفرح السرور أن يسلك الإنسان سبيلاً ينتهي به إلى الجنّة وينطلق في هذا السبيل تحت أجنحة الملائكة ويشمل بدعاء جميع وجـودات عـالم الوجود، فهل من فخر أعظم من ذلك!

٩٩

المواد الإمتحانية الشخصيات

قال الإمام علي‌عليه السلام: «ثلاث يمتحن بها عقول الرجال هن: المـال والولايـة والمصيبة».[١]

الشرح والتفسير

بيّن تعالى أنّ فلسفة وأساس خلقة الإنسان، الإمتحان. ولذلك فالدنيا بمنزلة جـلسة إمتحانية كبرى والقيامة زمان إعطاء النتائج! وعليه فلا ينبغي الدعـاء اللـهم لا تـبتلنا وتمتحنّا، لأنّ هذا الدعاء يتنافي مع هدف الخلقة وبعيد عن الإجابة، بل لابدّ من دعائه بعدم التشدد بالامتحان، اللهم لا تمتحنّا بالأمور التي لا ننجح فيها. وامتحانات الله وسيلة السمّو والتكامل، إلّا أنّ هنالك ثلاثة أمور أهم ممّا سواها وردت في هذا الحديث هي:

الأمر الأول: المال والثروة، فالثروة الضخمة إحدى العناصر الإمتحانية التي وردت الإشارة إليها في هذه الرواية. وجني الثروة التي تفوق الحد وعدم إنفاقها كـحمل المـواد الغذائية الكثيرة من قبل متسلق جبل لا ينوي البقاء لأكثر من يوم واحد على الجبل ثم يضطر لترك مابقي لديه هناك ويعود! وينجح في هذا الإمتحان من لا يفقد عقله ويضحي

---

١. غررالحكم، ج ٣، ص ٣٣٧، ح ٤٦٦٤.

بفطنته بامتلاكه للمال والثروة.

الأمر الثاني: مصائب الحياة ومشاكلها والتي يتطلب النجاح في امتحانها قدراً من الصبر والتحمل وسيكون مأجوراً في هذه الحالة. فإن جزع ولم يصبر فسوف يفشل في الإمتحان وهو مأزور ثقيل ذنبه.

الأمر الثالث: المنصب والمقام، وكثيرون هم الأفراد الذين ما إن ينالوا مقاما حتى ينسوا كل ماضيهم ويتلوثوا بكل شيء. والعاقل من لا يرى أي شيء يصده عن رؤية الحقائق أونسيانها. وهنالك العديد من الأحرار وفي أوساط العلماء وأعلام الدين الذين حفل بهم التأريخ البشري.

١٠٠

ثمار الهدى

قال الإمام علي عليه السلام: «من غرس أشجار التقى جنىٰ ثمار الهدى».[١]

الشرح والتفسير

ورد في العديد من الآيات والروايات مضمون ومحتوى الرواية المذكورة بخصوص ثمرة التقوى ومعطياتها في هذه الدنيا. فثمرة التقوى في الآية الشريفة ٢٨٢ من سورة البقرة التعليم والعلم الإلهي وفي الآية الشريفة ٢٩ من سورة الأنفال الظفر بقدرة التمييز (الفرقان) بين الحق والباطل وثمرة التقوى الهدى كما صرحت بذلك الآية الثانية من سورة البقرة. والذي ورد في هذه الرواية مجرد العلاقة. بين الهدى والتقوى حيث كلما ازدادت التقوى زيد في هدى الإنسان؛ لأنّ القلب كالمرآة، حين يخالط المرآة غبار لا تعكس الحقائق، أما إن طهرنا مرآة القلب من غبار الذنب بجعلها في مسار نسيم التقوى لعكست الوجه الحقيقي بدقة. وعليه فنور الهدى مشع على الدوام ولا يعرف من معنى للانقطاع.

ويستفاد ضمنا من الرواية وجود مسار آخر بالإضافة إلى سلوك طريق المعرفة بواسطة الإستدلال والفلسفة. وهو مسار العرفان الإسلامي الذي يحصل عن طريق الشهود، ماوردت الإشارة إليه في الآية ٢٩ من سورة الأنفال، حيث تحصل للإنسان بالورع

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٩٠.

والتقوى ووضع القدم على جادة العرفان الواسعة قدرة يشخص بها بسهولة الحق من الباطل والحقيقة من السراب. النقطة الأخرى أن تأثير التقوى والهدى ثنائية الجانب؛ أي كما يزداد الهدى بازدياد التقوى، كلما زيد الهدى بلغ الإنسان مراتب عالية من التقوى. وعليه لابدّ أن نسعى لتفعيل التقوى في حياتنا الفردية والإجتماعية في المسائل الدينية والسياسية والاقتصادية والادارية وبالتالي جميع مجالات الحياة، لتقطف الأمة الإسلامية ثمار الهدى من هذه الشجرة الضخمة وتستفيد منها بأحسن نحو.

١٠١

نتيجة المعرفة

قال الإمام علي عليه السلام: «يسير المعرفة يوجب الزهد في الدنيا».[١]

الشرح والتفسير

ماالمراد بالمعرفة الواردة في الرواية التي توجب الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها؟ للإجابة عن هذا السؤال لابدّ من الإلتفات إلى ثلاثة أمور:

١. المراد من هذه المعرفة معرفة الله، أي لو كان اللإنسان قبس من معرفة الله وصفات جلاله وجماله لزهد في الدنيا ولما خضع قط للدنيا. فمن عرف الله أدرك أنّه بحر الكمال وعالم الوجود برمته ورغم كبره فهو أصغر من الندى في مقابل أعظم المحيطات! مما لاشك فيه أن هذا الإنسان لا تأسره الدنيا ومثل هذا الإنسان الذي وصفه علي عليه السلام «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[٢] لا يغتر بالدنيا. وعلى ضوء هذه النظرة يرى عليه السلام الدنيا أهون من ماء أنف حيوان.[٣]

---

١. غررالحكم، ج ٦، ص ٤٥٦، ح ١٠٩٨٤.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢. المراد معرفة نفس الدنيا، أي أنّ الإنسان لو عرف الدنيا المتقلبة الغادرة، الدنيا التي يمكن أن تنكب الإنسان ليلة فتقذفه من أوج الثروة والقدرة في منتهى الفقر والفاقة، الدنيا التي تسلب الإنسان صحته وعافيته في لحظة، الدنيا التي تبتلع في حادثة خلال لحظة كل أصحابه وقرابته وأهله، فهل يمكن التعلق بمثل هذه الدنيا؟ إذن فأصحاب الدنيا المتهافتين عليها لم يعرفوها، ذلك لأنّهم لا يخضعون لها لو كانت لديهم أدنى معرفة بطبيعتها وماهيتها.

٣. معرفة المقام وقيمة الإنسان مدعاة لعدم التعلق بالدنيا. فلو علم الإنسان قدره وعرف وزنه وقيمته لما باع نفسه بمقام زائل ولا حطام من المال. فهذا المتاع القيم الذي يمكنه أن يكون أفضل من الملائكة لا ينبغي بيعه رخيصاً، لا ينبغي بيعه بأقل من الجنّة ورضوان الله. أما من لا يعلم أنّ الإنسان خليفة الله وسجد له جميع الملائكة يبيع نفسه بالتافة، على غرار الجاهل الذي يبيع الجواهر الثمينة بالتافه! وليس هنالك مايمنع من الجمع بين التفاسير الثلاثة؛ أي أنّ معرفة الله والدنيا وذات الإنسان توجب عدم تعلق الإنسان بالدنيا بل زهده فيها.

١٠٢

علامة التدين

قال الإمام علي عليه السلام: «ملاك الدين مخالفة الهوى».[١]

الشرح والتفسير

لكل شيء ملاك يقيم به. فما ملاك التدين وعدمه؟ هل الصلاة بمفردها ملاك التدين؟ هل للحجاب بمفرده أن يكون معيارا؟ كما يرى بعض الناس أنّ الصلاة أو الحجاب، الحد الفاصل بين المتدينيين والملحدين. وهل حفظ اللسان والسيطرة عليه يسعه أن يكون ميزان معيار التدين؟ لقد بيّن أميرالمؤمنين عليه السلام المعيار والملاك الجامع والكلي لهذه المسألة في هذه الرواية القصيرة والعميقة المعنىٰ، وإن كانت الأمور المذكورة ملاكاً؛ إلّا أنّ الملاك الكامل والتام شيئاً آخر حتى لربّما كانت أحياناً العبادة والحجاب وحفظ اللسان إثر رغبة القلب. وخير شاهد على ذلك هذه القصة المعروفة: أنّ شخصاً كان يصلي لسنين جماعة في الصف الأول وذات يوم تأخر عن المسجد فكان في آخر صف فساءه ذلك وقال في نفسه: ماذا يقول الناس! يصلي فلان في الصف الأول كل يوم فلم اليوم آخر الصف؟ وهنا التفت، ياويلي لقد أبطلت صلاتي طيلة هذه السنوات وعلي أن أقضيها جميعاً؟ فلم تكن خالصة لله. ومن هنا جاء في الخبر لا تغرك كثرة الصوم والصلاة وسائر العبادات! فقد يؤتى بها للعادة، بل امتحنوهم

---

١ . ميزان الحكمة، الباب ٤٠٤١، ص ٢١١٣٥(ج ١٠، ص ٣٨٢).

بالصدق وأداء الأمانة[١]. وعليه فالمتدين من تبع أوامر الله والعقل، والملحد من تبع هواه. وقد طرح هذا السؤال في تفسير الآية الشريفة **﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾**[٢] لما ذمّ الله بني إسرائيل على ذلك والحال «نؤمن ببعض» فعل حسن وإن استحقوا الذم بسبب «ونكفر ببعض» فقال بعض المفسرين: «لا قيمة لذلك الإيمان ببعض لأنّهم يؤمنون بما يوافق هوى أنفسهم، وعليه كان إيماناً بهوى النفس لا إيماناً بالله»[٣].

والخلاصة فالرواية التي نحن بصددها تعتبر ملاك ومعيار المتدين من الملحد مخالفة هوى النفس وعلى ضوء هذا المعيار الدقيق نستطيع الوقوف على مدى تديننا.

١ . ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٢٤، الباب ٣٠٠، ح ١٤٩٠.

٢ . سورة النساء، الآية ١٥٠.

٣ . التفسير الأمثل، ج ٤، ص ١٨٩.

١٠٣

علامات الجهل

قال الإمام علي عليه السلام: «إنّ قلوب الجهّال تستفزّها الأطماع، وترتهنها المنىٰ، وتستعلقها الخدائع»[1]

الشرح والتفسير

بيّن الإمام عليه السلام في هذه الرواية ثلاث علامات لروح وقلب الفرد الجاهل:

١. الأولى أنّ الطمع يهزّ قلوبهم من مواضعها، والطمع انتظار المزيد عبثاً، كأن يقوم فرد بعمل يستحق عليه ديناراً، لكنه يتوقع أن يعطى عشرة دنانير.

٢. الثانية طول الأمل الذي يعد أحد عوامل قسوة القلب،[2] فيرتهن قلب الجاهل. ومن الطبيعي أنّ المرتهن لا يقدر على القيام بوظائفه، وبالنتيجة لا يسعه إيداء ردود الأفعال المطلوبة، ومن هنا ليست مناسبة ردود أفعال الإنسان الجاهل إزاء مختلف الأفعال.

٣. العلامة الثالثة توجه قلب الجاهل للظواهر والغفلة عن الحقائق. فالعالم لا تغرّه زخارف الدنيا المادية ويرى الحقائق، أمّا الجاهل فهو أسير الأوهام والخيالات دائماً

---

١. اصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح ١٦.

٢. ورد هذا المطلب في عدة روايات عن المعصومين عليهم السلام. راجع ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٢٣٨، الباب ٣٤٠٢.

ومغرور بفخ زينة الدنيا. ومن هنا فإنّ مسار العالم هو الذي حـدد عـلى ضـوء الحـقائق والصراط المستقيم غير أنّ المتاهة والضلال هي مسار الجاهل.

سؤال: لِمَ العالم واقعي والجاهل خيالي ظاهري ؟

الجواب: أولاً: «العلم» نور و«الجهل» ظلمة [١] ومن الطبيعي أن يدرك الحقائق من زود بالنور، أمّا من مشى في الظلمة فهو أسير الوهم والخيال.

ثانيا: الجاهل مصاب بالهوى والطيش والهوى يعمي عين البصير عن رؤية الحق. ومن هنا كان العالم واقعي بينما يعاني الجاهل من الخيالات والأوهام.

---

١ . ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٤٥٢، الباب ٢٨٣٣، ح ١٣٣٧٩.

١٠٤

دور انتظار الفرج في حياتنا

قال الإمام علي‌عليه‌السلام: «المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله».[١]

الشرح والتفسير

يمكن بيان تفسيرين لهذه الرواية لا يتنافيان مع بعضهما.

١. منتظرو الظهور يأتون بأعمال نتيجتها واحدة مع الجهاد في سبيل الله؛ كما قال الإمام علي‌عليه‌السلام: «فرض الله الجهاد عزّاً للإسلام»[٢].

ونتيجة انتظار المنتظرين الواقعيين هي هذه الأمور؛ الإنتظار الذي يتحقق في ظلّه التهذيب وإجراء الأحكام الإسلامية وإيصال صوت الدين بالإستعانة بالقلم والبيان وجميع الوسائل الحديثة إلى أقصى مناطق العالم.

سؤال: ما نوع انتظارنا؟

الجواب: يرى البعض أنّه منتظر بمجرد تكراره لهذه العبارة «سيدي عجل بظهورك»! والبعض الآخر اختصر انتظاره في قراءة دعاء «الندبة» وزيارة آل ياسين وما شابه ذلك. وبعض بالإضافة إلى ذلك يتشرّف بزيارة مسجد جمكران المقدس ويكتفي بذلك!

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠٤.

٢. نهج البلاغة، قصار الكلمات ٢٥٢.

وهذا النوع من التفسير للإنتظار يجعلنا نتعجب حين تطالعنا مثل هذه الروايات ونسأل أنفسنا: كيف يكون ثواب الدعاء مساوياً لثواب من يتشحط بدمه جهاداً في سبيل الله؟ أما إن فسرنا الإنتظار بإعداد البشرية برمتها لظهور الإمام عليه السلام فإنّ هذا الإنتظار يعادل الجهاد، بل أحياناً يفوقه أبعاداً!

٢. كان البعد الخارجي للإنتظار هو التفسير الأول، أمّا البعد الباطني للإنتظار هو جهاد النفس وعلينا أن نهذب ونعد أنفسنا. لأنّه باسط العدالة، فأنى لي انتظار ظهوره إن كنت ظالما.

هو طيب وطاهر فكيف أزعم انتظاره إن كنت ملوثاً و... وعليه إنّما يتحقق الإنتظار الواقعي حين نجاهد أنفسنا ونتأهب بما يجعلنا مؤهلين أن نكون من جنوده. ومن الواضح أن جهاد النفس أصعب بكثير من جهاد العدو. ومن هنا خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين الذين عادوا من معركة عنيفة قائلاً: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال الجهاد مع النفس».[١] والنتيجة لابدّ من تفسير الإنتظار للناس في بعديه الخارجي والباطني كي لا يفرغ من محتواه ولا يختصر في الدعاء. ترى لو كنّا ننتظر ضيفاً عزيزاً ماذا نفعل؟ لا شك ننظف أنفسنا ونطهّر البيت. أفلا ينبغي أن يطهر منتظرو إمام العصر والزمان ـ عجل الله فرجه ـ أنفسهم وبيوتهم؟!

١. ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٤٠، الباب ٥٨٦، ح ٢٧٤١.

١٠٥

الهدف الغائي للبعثة

قال الإمام علي عليه السلام: «فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله بالحق، ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته».[١]

الشرح والتفسير

هنالك عدة آيات وروايات تعرضت للأهداف المهمة لبعثة الأنبياء[٢]. وأشارت هذه الرواية إلى هدفين مهمين منها واللذان أشير إليهما في الآيات القرآنية:

١. إنقاذ العباد من عبادة الأصنام وإرشادهم وهدايتهم لعبادة الله.

٢. إنقاذ الناس من تبعية الشيطان ودعوتهم لتبعية الرحمن. ولابدّ من الإلتفات في الهدف الأول أن الأوثان جمع وثن يعني الصنم وله معنى واسع؛ وعليه رغم انتهاء الوثنية ظاهر يا بانبثاق الدعوة الإسلامية وجهود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولكن بالنظر إلى أنّ الرؤية الحقيقية ترى الوثن كل ما يبعد الإنسان عن الله ويجذبه لنفسه فإنّ عصرنا يشهد أنواعاً أخرى من الوثنية التي ينبغي أن يهجرها العباد ويدعوا لعبادة الله الواحد. جاء في الحديث النبوي الشريف: «يأتي على الناس زمان بطونهم آلهتهم، ونساؤهم قبلتهم، ودنانيرهم دينهم، وشرفهم

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

٢. راجع شرح هذه الآيات في نفحات القرآن، ج ٧، ص ١٣.

متاعهم، ولا يبقى من الايمان إلّا إسمه». (فلما سمع المسلمون ذلك تعجبوا بعد أن تحطمت الوثنية على عهد النبي) قالوا: يارسول الله أيعبدون الله؟ قال: نعم كل درهم عندهم صنم»[١].

وجاء في الخبر: «أنّ أول درهم ودينار ضرباً في الأرض نظر إليهما إبليس فلما عاينهما أخذهما فوضعهما على عينيه، ثم ضمهما إلى صدره وقال: أنتما قرّة عيني! ما أبالي من بني آدم إذا أحبّوكما أن لا يعبدوا وثناً».

ما قيل نوع من الوثنية الشائعة في عصرنا، وللوثنية أشكال أخرى ورد تعريفها في هذه العبارة «كلما شغلك عن الله فهو صنم» ولو شققنا بعض القلوب لرأيناها معبداً وثنياً كبيراً! والحال، القلب حرم الله لا ينبغي أن يكون فيه غيرالله وإن كان لابدّ أن يكون في رضىالله. أمّا بشأن الهدف الثاني فلابدّ من الإلتفات إلىٰ أن للشيطان مفهوماً واسعاً ويعني الطاغي على الله. وعليه فاتباع كل طاغ على الله اتباع للشيطان حتى الإصغاء إلى كل كلام يعد طاعة لقائله، فان كان في رضى الله عدّ عبادة، وإن كان في معصيته فهو عبادة الشيطان[٢].

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٥٣.

٢. ميزان الحكمة، ج ٦، ص ١٩، الباب ٢٤٩٤، ح ١١٣٥٢.

١٠٦

في مصاف الشهداء

قال الإمام علي عليه السلام: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف».[١]

الشرح والتفسير

إنّ أعظم جهاد من وجهة نظر الإسلام جهاد الأهواء الجامحة سيما في الأوساط المليئة بالإغراءات الدنيوية الفاسدة. حتى جهاد العدو سيكون مجدياً في ظل الإخلاص والوحدة والنية الطاهرة والإبتعاد عن الأنانية والأغراض الشخصية ولا يتيسّر ذلك دون السمو الأخلاقي الكافي وجهاد النفس. ومن هنا بيّن عليه السلام أنّ أولئك الذين يجاهدون أنفسهم وينتصرون عليها ويصونون أنفسهم في الأوساط الفاسدة ولا يقارفون الدنس ليسوا بأقل من المجاهدين الشهداء في سبيل الله، بل ورد في تتمة الحديث في نهج البلاغة أنّ هؤلاء الأفراد في مصاف ملائكة السماء[٢]. وسر هذه الأهمية الفائقة والتأكيدات الكثيرة لزعماء الدين على جهاد النفس حتى اصطلح عليه بالجهاد الأكبر أنّ منشأ أغلب الذنوب أو جميعها الأهواء النفسية والشيطانية، ولما كان خطر عدو الإنسانية هذا كبير ونطاق عملياته واسع

---

١ . نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٧٤.

٢ . مائة وخمسون درساً من الحياة، ص ٤٣.

ولا حدود له من حيث الزمان والمكان كانت لمقاومته قيمة خاصة وجـهاده في مـصاف الشهداء وطوبى للفريقين!

١٠٧

كل شيء بمقدار

قال الإمام علي عليه السلام: «جعل الله لكل عمل ثواباً ولكل شيء حساباً».[١]

الشرح والتفسير

مسألة الحساب يوم القيامة من ضروريات ديننا ومن هنا كان أحد أسماء يوم القيامة يوم الحساب.[٢] ولا يقتصر الحساب على يوم القيامة، بل ما يستفاد من آيات القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام أنّ هنالك حساباً في هذه الدنيا أيضاً، كما كان هنالك حسابٌ دقيقٌ في عالم الخلق والتكوين، كما هو حاكم هذا الحساب والنظم في العالم الكبير (عالم الخلق) والعالم الصغير (بدن الإنسان). ولو تمعن الإنسان خلقه لأدرك مدى دقة الحساب. فقد ركّب وجود الإنسان من بضعة وعشرين عنصراً، وفيه أنواع الفلزات وشبه الفلزات من قبيل: الحديد والكالسيوم والأوكسجين والهيدروجين وأمثالها لمن مركبات بدن الإنسان، وهذه العناصر خاضعة جميعاً لحساب بحيث يمرض الإنسان إن قلّت أو كثرت، وعليه فالمرض يفرز من اختلال الحساب، وليس هنالك من حساب لمركبات بدن الإنسان الكيميائية، بل حركاته الفيزيائية كذلك؛ أي مثلاً معلوم عدد نبض القلب السليم في كل

---

١ . غررالحكم، ح ٤٧٧٩.

٢ . ورد أكثر من سبعين إسماً ليوم القيامة في كتاب نفحات القرآن، ج ٥، ص ٤٩.

عمر حين النوم وحين اليقظة وعند المشي وعند الركض. ونبضات القلب على قدر من الحساب والدقّة بحيث كان قدماء الأطباء يشخصون من خلالها مختلف الأمراض. والأهم من ذلك ما كان يقوله أحد الأطباء: «يمكنني معرفة جميع الأمراض من النظر إلى عين المريض، فعين الإنسان مرآة لجميع أمراض الإنسان!». وكل هذه علامات على الحساب الدقيق الذي يسود العالم برمته. فإن صدقنا ذلك سنوقن بأنّ في الشريعة حساباً خاصاً على غرار الطبيعة.

وقد أشار عليعليه السلام في هذه الرواية إلى هذا الموضوع أنّ لكل عمل خير ثواباً وعمل سيىء حساباً. ولابدّ أن نعلم بأنّ جميع الحوادث الصغيرة والكبيرة معلولة لعلل وإن لم نقف على أغلبها، والإنسان الموفق من يظفر بعلة كل حادثة ويعتبربها. نقل المرحوم العلّامة المجلسي في بحار الأنوار: «دخل على أميرالمؤمنينعليه السلام رجلٌ من أصحابه وطأ على حيّة فلدغته وهو يتضرع ويبكي. قالعليه السلام سيحمل إلى منزله، لم يحن حينه. فتعافى بعد شهرين. فدخل على الإمامعليه السلام فقال لهعليه السلام: حيث أقبل قنبر خادمي وأنت بحضرة فلان العاتي فقمت إجلالاً له. فقال لك: أوَ تقوم لهذا بحضرتي؟ فقلت له: وما بالي لا أقوم والملائكة تضع له أجنحتها في طريقه، فعليها يمشي. فقام إلى قنبر وضربه وشتمه وآذاه فلهذا سقطت عليك هذه الحيّة».[١] فإن كان الحساب بهذه الدقة لابدّ من المزيد في مراقبة أعمالنا، ونبحث عن العلل، في سلب التوفيق وزوال نشاط العبادات والتعرض للصعاب وسائر الأمور.

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٣٧.

١٠٨

كل شيء في ظل الكفر

قال الإمام علي عليه السلام: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها» [١]

الشرح والتفسير

سؤال: ورد في العبارة الأولى: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم» فهل هنالك علم دون تفهّم؟

الجواب: بلى، كثير العلم الذي لا حاصل له سوى خزين من المعلومات والقواعد والصيغ الجافة التي لا يفكّر فيها صاحبها ولا يتأمل نتائجها. فالعالم الذي يخترع الذرة ويطلق هذه الطاقة العظيمة، ترى لم فعل ذلك؟ هل كان هدفه القضاء على جميع الكائنات الحيّة وإزالة جميع آثار الحياة في «ناكازاكي» و«هيروشيما» في اليابان، والتي مازالت آثارها المشؤومة للأسف قائمة لحد الآن بعد عشرات السنين؟! أم كان هدفه صنع محطة كهربائية ليضيىء بواسطتها العالم ويحرك عجلات المعامل والمصانع وتستغل في سائر الفوائد؟ للأسف ليس لأغلب العلماء الماديين تفهم في علومهم، ومن هنا تحولت الدنيا إلى بؤرة مظلمة فالدنيا التي ليس لعلمائها من هدف سوى اللذة المادية ولا يفرق لهم أن تنشط

---

١ . اصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب صفة العلماء، ح ٣.

باختراعاتهم واكتشافاتهم مصانع الأدوية أو مصانع القنابل، بل يرجحون ما كان دخله أكثر ويجلب لجيوبهم أكبر عدد ممكن من الدولارات فإن مثل هذه الدنيا بؤرة ظلام وهذا العلم مضر حقاً!

وجاء في العبارة الثانية: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر» نعم كثيرون من يتلون القرآن والقرآن يلعنهم[1]. ذلك لأنّهم لا يعملون بهذه الوصفة المشفية وما فيها من وصايا، فهؤلاء حين يقرأون الآيات المتعلقة بالغيبة وهم يغتابون الآخرين فتلعنهم هذه الآيات حين يقرأ آيات الربا وهو ملوث بهذا الذنب الكبير تلعنه آيات الربا، وهكذا سائر الآيات التي لا يعمل بها.

«تدبّر»: من مادة «دبّر» على وزن قصر التفكير بالعاقبة. وتالي القرآن حين يتلو الآيات الشريفة لابدّ أن يفكر بعاقبة الأفراد الذين تتحدث عنهم الآيات المتلوّة، فقراءة آية بتدبّر أفضل من ختمة دون تدبّر.

وقال في العبارة الثالثة: «ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها». فهل فكرنا في معاني سورة الحمد حين تلاوتها في الصلاة عندما نقف بين يدي الله؟ فإن بلغنا قوله تعالى «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» نظرنا إلى قلوبنا هل حقاً نعبد الله فقط به نستعين؟ أم أنّ عبادة الهوى والمال والمقام لم تدع في قلوبنا من موضع لعبادة الله؟! حين نصل إلىٰ التشهد ونشهد بوحدانية الله ونطل على قلوبنا ونلاحظ هل هنالك من أوثان في هذه القلوب أم أنّ هذه القلوب ليس فيها سوى الله، نعم لابدّ من اقتران العبادة بالتفكر، ذلك لأنّ العبادة المقرونة بالتفكر يمكنها أن تغير مصيرنا.

---

١. ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٩٠، الباب ٢٣١١، ح ١٦٢٥.

١٠٩

التفكير الدائم بالضعف

قال الإمام علي عليه السلام: «ياكميل إنّ ذنوبك أكثر من حسناتك، وغفلتك أكثر من ذكرك، ونعم الله أكثر من عملك».[1]

الشرح والتفسير

لابدّ من الإلتفات إلى الأمور التالية في تفسير العبارات الثلاث:

١. إنّ نعم الله أكثر من قدرة الشكر لدى الناس مطلب واضح وبديهي. على سبيل المثال لو سلبت من الإنسان النعمة الفضيلة للعين فأية مصيبة ستحل! فهل سيكون الإنسان قادراً لو أدى شكر هذه النعمة فقط إلى آخر عمره؟ هنالك عين فياضة في عين الإنسان تجعل سطح العين رطباً على الدوام ولولاها لآذت الأجفان العين وتذهب ببصره خلال مدّة قصيرة، وهناك مادة في العين تمتصّ دمع العين ولولاها لكان الإنسان باكياً دائماً! أو ليست هذه نعم إلهيّة عظيمة؟ترى ماذا سيحدث لولاهما (العين الفياضة ومادة امتصاص دمع العين)؟ أحياناً لدينا النعم التي لا نتوجه إليها طيلة الحياة، حقاً إنّ نعم الله أكثر من قدرة شكرنا نحن البشر.

٢. أمّا العبارة الثانية: «وغفلتك أكثر من ذكرك» فيمكننا تصديقها بحساب بسيط. كم

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤١٥.

نذكرالله كل يوم وليلة؟ كم تستغرق جميع صلواتنا اليومية؟ ما مدى ذكرنا لله خلال المدة التي نقف فيها للصلاة؟ نعم، أولياء الله يذكرون الله حتى في المنام، إلّا أنّ هؤلاء لا يجاوز عددهم أصابع اليد، والنتيجة فإنّ مدّة الغفلة عن ذكر الله أكثر من مدّة حضور القلب.

٣. أما العبارة الثالثة: «إنّ ذنوبك أكثر من حسناتك» تتضح أيضاً بقليل من التفكير. للأسف إننا لا نرى أغلب ذنوبنا ذنوباً! فالكذب والتهمة والغيبة والجحود وبث الشائعات وخلقها والسخرية من الآخرين وما شابه ذلك، أو بعض الأعمال التي لا تتناسب مع شأن الإنسان لكننا نأتي بها! ككثرة الكلام والصلاة دون حضور القلب والصلاة التي نشك في الثالثة والرابعة والخامسة وهدر الوقت وأمثال ذلك. وأحياناً نفعل بعض الحسنات التي تبدو حسنة، ولكن حين نتمعنها نراها ليست عبادة. وعليه فذنوبنا أكثر من حسناتنا.

سؤال: ما هدف أمير المؤمنين عليه السلام من هذه العبارات؟

الجواب: الهدف هو أن لا نمنّ على الله بعبادتنا وطاعتنا، بل لابدّ أن نرى أنفسنا مدينين لله دائماً ونفكر في التعويض. وأحد أسرار التكامل أن يرى الإنسان نفسه ناقصاً. فذلك الذي يرى نفسه كاملاً فهذه بداية بؤسه وتوقفه.

١١٠

ذكر الله

قال الإمام علي عليه السلام: «يا كميل سمّ كل يوم باسم الله، وقل لا حول ولا قوة إلّا بالله، وتوكل على الله، واذكرنا وسمّنا بأسمائنا وصلّ علينا، وأدر بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك، تكف شرّ ذلك اليوم إن شاء الله».[1]

الشرح والتفسير

إنّ اختيار هذه العبارات الأربع وترتيبها مع بعضها كما أشرنا كراراً ليس عبثاً واعتباطاً، بل للعلاقة القائمة بينها. أمّا «بسم الله الرحمن الرحيم» فلأنّ كل عمل ينبغي أن يشرع في الثقافة الإسلامية باسم الله، وكل فعل حسن لا يبلغ هدفه مالم يبدأ باسم الله»[2] وأمّا تكرار «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» في كل يوم لنؤمن بأنّ القوى والقدرات كافة منه، والحائل بيننا وبين المكان هو ذلك القادر المطلق، وإننا لا نقوى على الإتيان بعمل ولا نقوى على دفع الموانع دون أن نستند إليه تعالى. وأمّا إسناد جميع الأمور لله العالم بالسر والعلن والتوكل على تلك القدرة المطلقة فذلك إننا نعرض له بكل كياننا قائلين: اللّهم إننا لا نملك لأنفسنا شيئاً ولسنا قادرين على شيء دون الركون للطفك والتوكل على قدرتك وعلمك،

---

١ . بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤٨٢.

٢ . مر شرح هذا المطلب في الحديث الأول.

وكل ما هنالك فمنك وبيدك.

وأخيراً نتوسل في الختام بالأربعة عشر معصوماً عليهم السلام كأن يقال «اللّهم صل على محمّد وآله وأميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين». والإنسان بإتيانه بهذه الأعمال الأربعة والإيمان بمضامينها يأمن شر ذلك اليوم، من جميع الشرور؛ شر النفس وشر الشياطين والجن والإنس والآفات والبلايا والحوادث وبالتالي الأمان من كل شرّ.

التخلق بصفات الله:

المسألة المهمّة في أذكار الله، التخلق بالأذكار؛ أي أنّ الذكر لا ينبغي أن يكون مجرد لقلقة لسان، بل لابدّ أن يخترق روح الإنسان وقلبه ويترك أثره عليه ويصبغ الإنسان بصبغته. فإن قذفت قطعة حديد باردة في نار مستعرة تصبح بلون النار وتتخلق بأخلاق النار.

وعليه نحن أيضاً حين نكرر هذه الأذكار لابدّ أن نمد بالتدريج جسراً من ألسنتنا إلى قلوبنا ونؤمن بمضامينها.

الختام

الفهرس

Discourses of Imam Ali (PBUH)
Ayatollah al-ozma Makarem Shirazi